اليَومُ الآخَر

حِكَمٌ ومَشاهِد

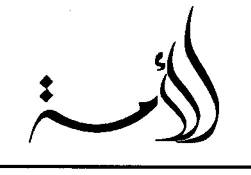
سماحة العلّامة

محمد الحسن الددو الشنقيطي

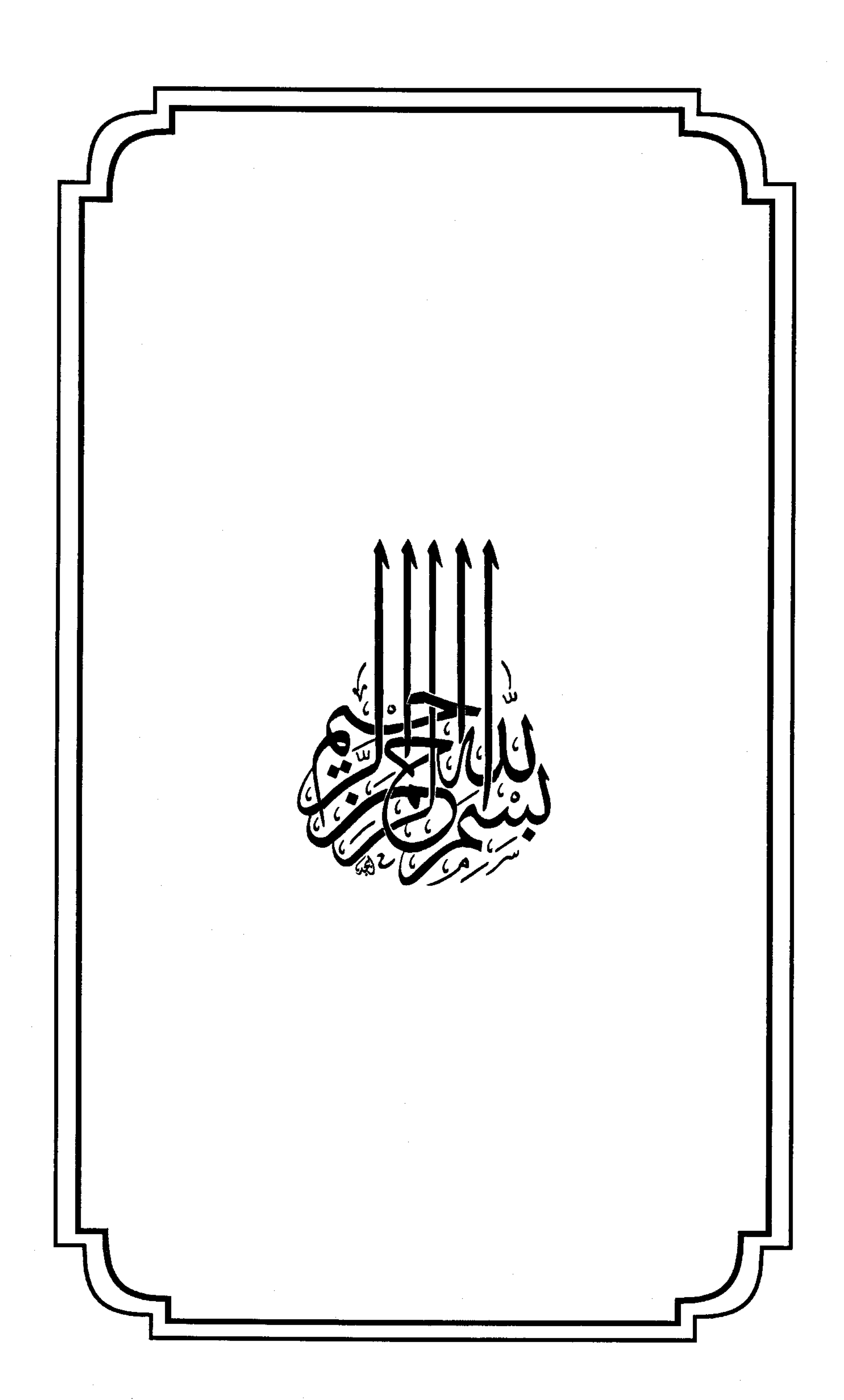
اعتنى به

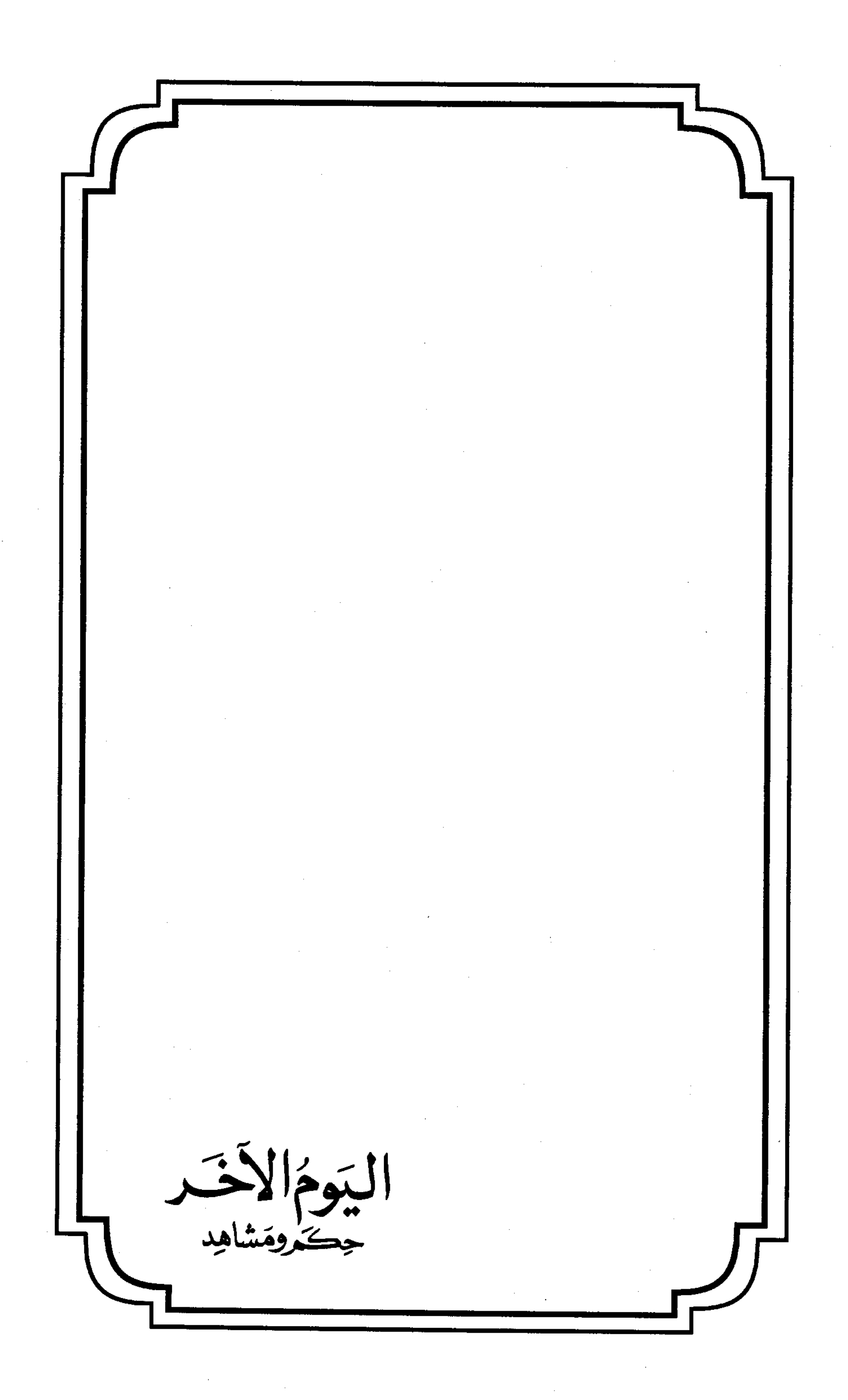
د. علي بن حمزة العُمري

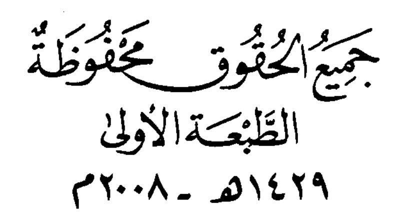
رئيس جامعة مكة المكرمة المفتوحة



مؤسسة طريق الأمة للنشر والتوزيع




اليومُ الآخر
حِكَم ومَشاهِد



معهد مكة المكرمة بجدة

هاتف : ٠٠٩٦٦٢٦٢٣٠٠٧٧

فاكس : ٠٠٩٦٦٢٦٢٣٠٠٥٥

ص . ب (٣٥٠٢٣) جدة (٢١٤٨٨)

www.MAKKAHACADEMY.net



مؤسسة طريق الأمة للنشر والتوزيع



مواقعنا المفضلة
www.alummah.info
www.makkahacademy.net



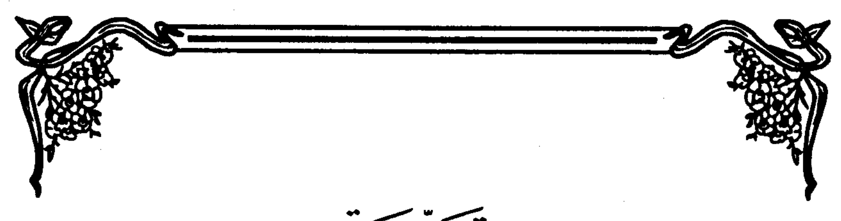
تتواجد
تسجيلات قوافي الشموخ/الرياض
01/2481705
تسجيلات دار الأندلس / جدة
02/6815027



للتواصل 01 2481905
02 6810578



الموزعون 0554481905
0551177135



مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

ففي ليلة مباركة من ليالي شهر ربيع الأول عام **١٤٢٧**هـ، تم تكريم سماحة العلامة: محمد الحسن الدَّدَوْ الشنقيطي ـ حفظه الله ـ، الفائز بجائزة الشباب العالمية لخدمة العمل الإسلامي ـ فرع المحاضرات ـ.

والحقيقة أن لمحاضرات الشيخ محمد الحسن ـ حفظه الله ـ ميزات خاصة، من أهمها الجمع بين الشواهد الشرعية، والاستنباطات العلمية، واللفتات التربوية. مع ما حباه الله من تأثير في المستمعين.

وعقب حفل التكريم رغبت إلى سماحته في إقامة دورة علمية تربوية مركَّزة، في جامع أبي بكر الصديق بمملكة البحرين، فوافق مشكوراً مأجوراً بإذن الله.

وكالعادة أُبلغُ الشيخ بموضوعات الدورات قبلها بفترة وجيزة، لإيماني البالغ بأنه في الدورات لا يحتاج إلا إلى الإبلاغ عن الموضوعات وطبيعة الدورة والحاضرين.

وأمَّا عن المادة فدونك هذا الموضوع الذي وفق الله جل جلاله الشيخ لإلقائه بطريقته المعهودة، والتي حوت كنوزاً ودرراً من الفوائد والشواهد التي التقطتها ذاكرة الشيخ ـ حفظه الله وسدده ـ.

وقد استمرت الدورةُ ثلاثةَ أيام، ثم وفق الله لإخراجها في ألبومٍ صوتيّ وزّع ولله الحمد في العديد من الدول. ثم قمنا كعادتنا في معهد مكة المكرمة بتفريغ المادّةِ ومراجعة النصّ، وضبط عباراته، وتوثيق نصوصه، وتخريج أحاديثه، تمهيداً لإخراجِ هذه المحاضراتِ في كتابٍ، وقد قام الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي بجهد مشكور في المراجعة والتخريج ومن ثمَّ صوبت الأخطاء، وراجعت التخريج، وعدَّلت في الصياغات.

ولم أملَّ مراجعة الكتاب بدقة ثلاث مرَّات في عاصمة الخلافة (استانبول)، بل سعدت وتأثرت بما فيه، كتب الله لشيخنا القبول.

وموضوع هذا الكتاب (اليوم الآخر. . . حِكم ومشاهد)، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بصلاح الفرد والأسرة والمجتمع. ولا يستثمر مضامينه حقّ استثمارها إلا أولو العلم والبصيرة، وهذا ما جعل الشيخ محمد الحسن ـ وفقه الله ـ يتحدث عن فصل بعنوان: «الخطة الرباعية لاستثمار العمر المركزي».

ومن هنا تدرك أنك لست أمام كتاب تقليدي مكرر، بل أنت أمام كتاب يجمع بين التأصيل والتفعيل. وكفى بابن الددو متحدثاً!

ختاماً: أشكر الإخوة في المكتب العلمي بمعهد مكة المكرمة بجدة على جهودهم في إظهار العمل بالصورة العلمية المتقنة كعادتهم.

أسأل الله جلَّت قدرته أن يبارك في عمر الشيخ، ويزيده توفيقاً وسداداً وإخلاصاً، ونفعاً للمسلمين في كل مكان.

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

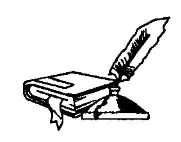
المعتني بالكتاب

د. علي بن حمزة العُمري

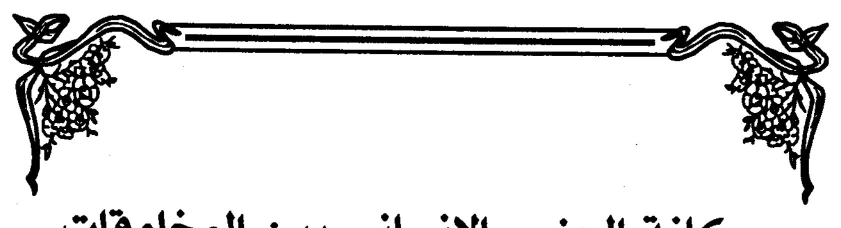
رئيس جامعة مكة المكرمة المفتوحة

www.ALOMAREY.net

Email: A.MH3@hotmail.com







مكانة الجنس الإنساني بين المخلوقات

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على من بعث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.... أما بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلقنا وهو غني عنّا، ولم يتركنا سدى، وإنما اختار بحكمته البالغة أن يجعل هذا الجنس البشري بين جنسين:

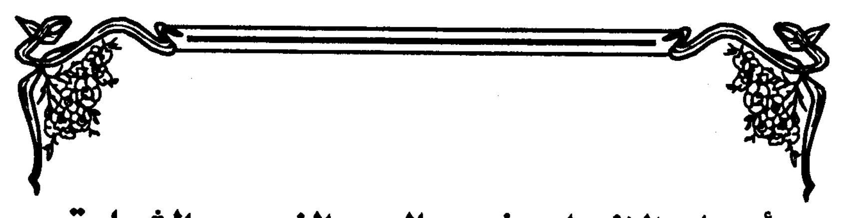
جنس أسمى منه؛ وهو الملائكة، محضهم الله تعالى لطاعته وعبادته ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، لم يسلط الله عليهم الشهوات، ولكنه كلفهم بتكاليف؛ فهم جنس أسمى من الإنسان فيما يتعلق بهذه الناحية.

وجنس أدنى منه؛ هو الحيوان البهيمي، سلط الله عليه الشهوات، ولم يكلفه بتكاليف. وهو أدنى من الإنسان لأن اهتمامه إنما بهذه الحياة الدنيا فقط، ولذلك ضرب الله به مثلا للكفار، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، وقد ضرب به المثل في أكثر من موضع

في القرآن لمن اتبع الهوى فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة: ٦]؛ أي هم شر ما خلق الله، فهم شر من الكلاب والخنازير وغير ذلك من أنواع المخلوقات. وقال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥﴾ [الأعراف: ١٧٥]؛ فالقوم الذين كذبوا بآيات الله واتبعوا الهوى يلتحقون بالبهائم والأنعام، بل يكونون أدنى منها، لأن الحجة القائمة على الإنسان بالعقل والوحي أكبر من الحجة القائمة على البهائم، فلذلك لا تلام البهائم إذا اتبعت هواها ويلام الإنسان إذا اتبع هواه.

فالإنسان إذاً بين هذين الصنفين؛ فإن هو اتبع الهدى وعمل بالتكاليف وأدى الأمانة ولم يتبع الشهوات التحق بالصنف الأسمى وهو الملائكة، وإن هو ضيع تكاليفه واتبع الشهوات التحق بالصنف الأدنى وهو البهائم.





أعمار الإنسان في عالمي الغيب والشهادة

وقد جعل الله للإنسان خمسة أعمار؛ وهي:

العمر الأول: كان في عالم الذر، عندما مسح الله ظهر آدم وأخرج منه ذريته فقال آدم: يا رب من هؤلاء؟ قال: خلق من ذريتك خلقتهم للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره أخرى فأخرج منه ذرية، فقال آدم: أي رب من هؤلاء؟ قال: خلق من ذريتك خلقتهم للنار، وبعمل أهل النار يعملون. ثم خلطهم حتى ما يتميزون، فناداهم فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأنعام: ١٧٢].

قالها مؤمنهم وكافرهم، وبرهم وفاجرهم، كلهم أقروا له بالربوبية في ذلك الوقت؛ والإنسان إن كان يوجه إليه الكلام، ويصدر منه الجواب، ويؤخذ عليه العهد، ويوافق عليه.. هذا دليل على أنه دخل الوجود، وأصبح ذا عمر موجود، فلذلك خاطبهم الله بذلك الخطاب فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، وهم جميعاً أقروا بذلك، ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾، ثم أخذ عليهم العهد بعبادته وتوحيده وأن لا يعبدوا الشيطان، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١)﴾ [يس: ٦٠ - ٦١].

هذا هو العمر الأول، وقد بقي معنا منه أمران؛ وهما:

الأمر الأول: الفطرة التي فطر الله الخلائق عليها؛ وهي توحيد الله وعبادته والحاجة إلى الدين. وهذه الفطرة تبقى في الإنسان ما لم تفسد بمفسدات الفطرة، فالإنسان لو ولد في جزيرة من جزائر البحر ولم يلق أي معلم ولا مرب؛ فبلغ العقل والنضج لا بد أن يبحث عن شيء يعبده، ولا يمكن أن يدعي بفطرته أنه مستغن عن الدين أو مستغن عن معبود، ولا يمكن أن يدعي الربوبية لنفسه إذا كان كانت فطرته سليمة. بل يبحث عن معبود؛ فإن هدي إلى عبادة الله عبده، وإلا اتخذ آلهة أخرى؛ عبد حجراً، أو شجراً، أو غير ذلك.. لكن لا يمكن أن يكون الإنسان بأصل فطرته غنياً عن العبادة! غنيا عن الرب!.. بل لابد أن يجد نفسه مضطرة للعبادة. وهذه فطرة باقية من ذلك العالم. قال الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

والأمر الثاني: هو التعارف؛ فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**الأرواحُ جُنودٌ مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكَرَ منها اختَلفَ**»[1]؛ فالتعارف إنما كان في عالم الذر في ذلك العمر الأول، وسمي العالم الذرّي لأن الصور التي أبرز الله فيها ذريات آدم هي كالذر الذي هو صغار النمل لصغرها، وهي الأسودة التي رآها النبي ﷺ ليلة المعراج، كما صح عنه أنه ليلة عرج به عندما استأذن جبريل عند باب السماء الدنيا قال خازنها؛ «**مَن هذا؟**

---

(١) البخاري عن عائشة برقم (٣٢٦٦)، ومسلم عن أبي هريرة برقم (٦٦٥٩).

قال: هذا جبريلُ، قال: معك أحدٌ؟ قال: معي محمدٌ، قال: أُرسلَ إليه؟ قال: نعم، فافتح. فلما علَوْنا السماءَ إِذا رجلٌ عن يمينهِ أَسْوِدةٌ وعن يَسارِهِ أسوِدة، فإذا نظرَ قِبَلَ يَمينهِ ضَحِك، وإذا نَظرَ قِبَلَ شِمالهِ بَكى، فقال مَرحَباً بالنبيِّ الصالح والابنِ الصالحِ. قلت: مَن هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا آدم، وهذه الأَسْوِدةُ عن يَمينهِ وعن شِمالهِ نَسَمُ بَنيهِ، فأهلُ اليمين منهم أهلُ الجنَّة، والأسودةُ التي عن شماله أهلُ النار. فإذا نظرَ قِبَلَ يمينه ضَحِك وإذا نظرَ قِبلَ شماله بَكى»[1]؛ إذا نظر قبل يمينه ضحك لكثرة ما يرى من أهل السعادة من بنيه، وإذا نظر قبل شماله بكى لكثرة من يرى من أهل الشقاوة من بنيه.

وهذه هي الأرواح محبوسة في السماء منذ ذلك العالم الأول، وتنزل إلى الأرض بالتدريج، فإذا مكث الجنين في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون أربعين يوما علقة، ثم يكون أربعين يوما مضغة؛ بعد ذلك ينفخ فيه الروح، فتنزل روحه من السماء الدنيا، يأتي بها الملك ويؤمر بنفخها فيه، وبأربع كلمات؛ بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

وهذا التعارف الذي حصل بيننا في ذلك العالم هو الذي تقع به الألفة في الدنيا، فترى الإنسان الذي لا تجمعك وإياه قارة واحدة، ولا لون واحد، ولا لسان واحد، وتجد نفسك منجذبة إليه كأنك عشت معه زمناً طويلاً، من أين كان ذلك؟ إنما كان ذلك من التعارف في الزمان الأول، كما قال النبي ﷺ: «**الأرواح**

---

(١) البخاري برقم: (٣٢٧٢)، ومسلم برقم (٣٦٩). كلاهما عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف..»، وهذا التعارف من حكمة الله فيه تحقيق الإخاء ولو شاء الله لخلق البشر كما خلق الشجر كل شجرة لها أصل تنبت فيه، لكن الله أراد بحكمته البالغة أن يوحد البشر، فجعلهم ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١] ليترابطوا فيما بينهم، لأن الله علم أن الإنسان الواحد عاجز عن صناعة ما يحتاج إليه.

فالإنسان يحتاج إلى الطعام والشراب واللباس والسكن، وهذه أربع حاجيات هي أكبر حاجيات الإنسان وقد ضمنها الله لآدم في الجنة فقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨ - ١١٩]، وفي قراءة أخرى: ﴿**وإنّكَ** لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾، ومعنى القراءتين واحد: وإنك لضمان المستقبل، وأنك عطف على الماضي. لا تظمأ فيها؛ أي لا تعطش، ولا تضحى؛ أي لا تبرز للشمس ضحى، يضحى معناه برز للشمس وكان في العراء، ومن ذلك قول الشاعر[(١)]:

رأت رجلا أما إذا الشمس عارضت
فيضحى وأما بالعشي فيخصر

فيضحى أي يبرز للشمس. فهذه أربع حاجيات، هي: الطعام، والشراب، والسكن، واللباس. والإنسان محتاج إليها دائما لا يستغني عنها، ولا يستطيع توفيرها لنفسه بنفسه. فلو قدر أنه اشتغل بواحدة منها، بدأ يحفر في الأرض للبحث عن الماء

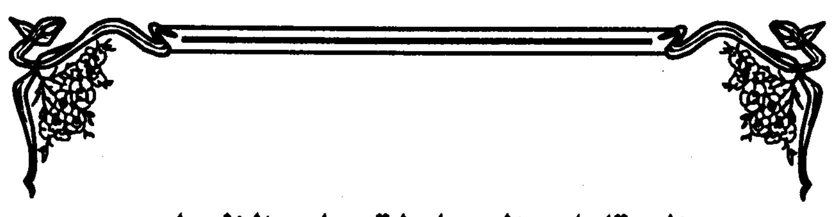
---

(١) البيت لعمرو بن أبي ربيعة كما في الأغاني، والأمالي، والكامل، والحماسة البصرية، والعقد الفريد.. وغيرها.

فمن سيرفع عنه التراب إذا وصل الحفير إلى مكان لا يستطيع إخراج التراب منه، يحتاج إلى شخص آخر ولو أراد الطعام فزرع في الأرض هل يستطيع أن يزرع ثم بعد ذلك أن يرعى؟ ثم بعد ذلك يسقي؟ ثم بعد ذلك يصبر إلى أن ينضج الحب؟ ثم بعد ذلك يحصده، ثم بعد ذلك يبدأ في طحنه وتوصيله، ثم بعد ذلك في طبخه وإنضاجه؟ هل يستطيع أن يقوم بكل هذه المراتب وحده؟! من المستحيل؛ وكذلك اللباس هل يستطيع أن يزرع القطن بكل مراحل الزراعة، ثم بعد ذلك يفصل، ثم بعد ذلك يغزله، ثم ينسجه بنفسه؟! من المستحيل أن يقع ذلك، وهكذا في كل شؤون حياته، فهو محتاج إلى من يعينه. فلذلك جعل الله البشر يترابطون فيما بينهم.

والعمر الثاني: هو عمر الإنسان فوق الأرض في هذه المدة التي يمكث فيها فوقها، وهو أقصر أعمار الإنسان، لكنه أخطر الأعمار، لأنه عمر التكليف.





الرقابات المسلطة على الإنسان في عمره المركزي (العمر الأرضي)

لقد جعل الله الإنسان تحت خمس رقابات؛ وهي:

الرقابة الأولى: رقابة الملك الديان جل جلاله.

وهو علام الغيوب لا تخفى عليه خافية، يعلم السر وأخفى، أحاط علماً بما فوق السماء وبما تحت الثرى، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد، إذ يعلم ما يخطر في قلب الإنسان وما يدور في خلده، لا تخفى عليه خافية، لا تحجب عنه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا جبل ما في وعره، ولا بحر ما في قعره، ولا تختلط عليه الأصوات، ولا الأفكار، ولا هواجس الإنسان وما يدور في خلده، كل ذلك معلوم لدى الله، والله أسرع الحاسبين، جل جلاله. فهذه الرقابة ليس فيها فوت، لا يفوت الله جل جلاله أيُّ شيء من عباده، لا من حركة ولا سكون، وقلوب العباد جميعاً بين أصبعين من أصابع الرب جل جلاله يقلبها كيف يشاء.

الرقابة الثانية: رقابة الملائكة الكرام الكاتبين.

فقد جعل الله مع كل واحد من البشر في هذا العمر واحدا وعشرين من الملائكة يحصون عليه أعماله ويكتبونها ويشهدون عليه، منهم صاحب اليمين، وصاحب الشمال، فصاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات. ومنهم القرين؛ وكل إنسان له قرينان، قرين من الملائكة، وقرين من الشياطين. ومنهم المعقبات ﴿مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ [الرعد: ١١]، ومنهم ملائكة الجوارح كل جارحة عليها ملك، ومنهم كذلك الملائكة الذين يتعاقبون في الناس: «**يَتعاقَبونَ فِيكمْ مَلائِكَةٌ بالليلِ ومَلاَئِكَةٌ بالنَّهَارِ، ويجتمعونَ في صلاةِ الفَجرِ وصلاةِ العصر**»[1]. فالجميع واحد وعشرون ملكا، وهذا عدد كبير جداً، وهم يعلمون أعمال الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠ ـ ١٢]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨﴾ [ق: ١٨].

الرقابة الثالثة: رقابة الشهيد من الرسل.

فرسل الله يشهدون على البشر بأعمالهم فسيشهدون عليهم يوم القيامة، فكل أمة فيها شهيد من الرسل يشهد عليها بأعمالها، ومحمد ﷺ شهيد على هذه الأمة، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١﴾ [النساء: ٤١]،

---

(١) البخاري: برقم (٥٤٨ و ٧٢٦٣ و ٧٣٢٠)، ومسلم برقم (١٣٨٢)؛ كلاهما عن أبي هريرة.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ [النحل: ٨٨].

ومن شرط الشهادة العلم؛ فالإنسان الذي يشهد بما لا علم له به شاهد زور، ولذلك لا يمكن أن يشهد النبي ﷺ على أعمال أمته إلا إذا أطلعه الله عليها حتى يشهد بها، لأن الله يقول: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١] ويقول: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، فمن شرط الشهادة أن تعلم ما تشهد به، فلذلك يطلعه الله على أعمال أمته حتى يكون شهيداً عليهم يوم القيامة بأعمالهم. وهذه الشهادة هي رقابة لأن الأعمال تعرض عليه، ولأنه لا يمكن أن يشهد بمجهول لديه.

الرقابة الرابعة: هي رقابة بعض الناس على بعض.

فالمؤمنون شهداء الله في أرضه، فمن أثنوا عليه بخير استحق بشهادتهم الجنة، ومن أثنوا عليه بشر استحق بشهادتهم عليه النار، كما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: «**مَرُّوا بجنازةٍ فأثنوا عليها خيراً، فقال النبيُّ ﷺ وَجَبَتْ، ثمَّ مَرُّوا بأخرى فأثنَوا عليها شرّاً، فقال: وَجبتْ، فقال عمرُ بن الخطاب رضيَ اللهُ عنهُ: ما وَجبتْ؟ قال: هذا أثنيتُم عليهِ خيراً فوَجبتْ لهُ الجنَّةُ، وهذا أثنَيتُم عليهِ شرّاً فوَجبتْ لهُ النارُ، أنتم شُهَداءُ اللهِ في الأرضِ**»[1].

وعن عمر رضي الله عنه أنه كان عند رسول الله ﷺ فمر

---

(١) البخاري برقم (١٣٤٣)، ومسلم برقم (٢١٥٤) واللفظ للبخاري.

بجنازة فأثنى الناس عليها خيراً، فقال رسول الله ﷺ: «**وجبت**»، ثم مر بجنازة أخرى فأثنى الناس عليها شرا، فقال: «**وجبت**»، فقال عمر: وما وجبت يا رسول الله؟ قال: «**أنتم شهداء الله في أرضه، فمن أثنيتم عليه بخير وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه بشر، وجبت عليه النار**»، والله تعالى يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥]. فالمؤمنون هم شهداء الله يستشهدهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهؤلاء الشهود إنما هم العدول منهم فليس كل إنسان من المؤمنين يصلح للشهادة، وليس كل إنسان من البشر من شهداء الله يوم القيامة، بل إنما يختار الله الشهيد من المؤمنين اختياراً ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. والذين يتخذهم الله لهذه الشهادة هم عدول كل عصر من العصور، وقد أخرج أبو عمر في مقدمة التمهيد والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»[(١)]، فعدول كل خلف هم شهود الله يشهدون على ذلك العصر الذي هم فيه، ويؤدون شهادتهم. ورقابتهم قائمة على الإنسان:

والناس أكيس من أن يمدحوا رجلا

حتى يروا عنده آثار إحسان

(١) التمهيد (٥٩/١): باب معرفة المرسل والمسند والمنقطع والمتصل.

وقديماً يقول الحكماء: «**ألسنة الخلق أقلام الحق**».

الرقابة الخامسة: رقابة الإنسان على نفسه:

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة: ١٤ ـ ١٥]، فالإنسان يوم القيامة تشهد عليه جوارحه بما عمل ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النور: ٢٤] سيختم الله على لسانه وتتكلم جوارحه، في ذلك الوقت تتكلم جوارحنا جميعاً؛ حتى الجسد والجلد، وما فيهما من شعر وما فيهما من عضلات تشهد على صاحبها جميعاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [فصلت: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: ٦٥]، فكل ذلك يشهد على الإنسان يوم القيامة. وهي رقابة قريبة كما قال النبي ﷺ: «**إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تكفر اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا**»[١]. ولذلك قال النبي ﷺ لمعاذ حينما كان رديفه: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ فقلت له: بلى يا نبي الله، فأخذ بلسانه فقال: كف عليك هذا. فقلت: يا رسول الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به. فقال: ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم في النار أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم**»[٢].

---

(١) سنن الترمذي (٤/٦٠٥): عن أبي سعيد الخدري يرفعه، و[تكفِّر اللسان]، تستغيث اللسان بأن يصمت.

(٢) مسند الإمام أحمد؛ برقم: (٢١٦٣٩).

وقد صح أن عمر رضي الله عنه دخل على أبي بكر رضي الله عنه في عهد خلافته فوجده يجذب لسانه بيده، فقال: يا خليفة رسول الله ماذا تعمل بلسانك؟ فقال: «**إن هذا أورد للموارد، إن هذا أوردني الموارد**»[1]، هذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فكيف بمن دونه؟!

لذلك فإن الجوارح هي شهود لله سبحانه وتعالى على الإنسان، وهي من أقرب الشهود إليه، لا يمكن أن تخطر ببال الإنسان خاطرة إلا شهد بها بعض أعضائه، ولذلك ذكر النبي ﷺ ـ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ـ أن كل عضو من ابن آدم كتب عليه حظه من الزنا، قال: «**كل ابن آدم له حظه من الزنا، فزنا العينين النظر، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، وزنا الفم القُبَلُ، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك أو يكذبه الفرج**»[2].

فكل جارحة من الجوارح لها عملها، وتأتي بشهادتها يوم القيامة، تشهد على الإنسان.

فإذن هذه الرقابات الخمس كانت في هذا العمر الدنيوي المحدود. وهذا العمر الدنيوي يبدأ من نفخ الروح في الجنين وهو في بطن أمه، وقد أخرج البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إِنَّ أحدَكم يُجمَعُ خَلْقُهُ في بطن أُمّهِ أربعينَ**

---

(١) التمهيد لابن عبد البر: (٥/٦٥).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢/٥٣٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأصله مختصراً في الصحيحين (انظر: البخاري: ٥/٢٣٠٤، ومسلم: ٤/٢٠٤٦).

يوماً، ثمَّ يكونُ عَلقَةً مثلَ ذٰلك، ثمَّ يكونُ مُضغةً مثلَ ذٰلك ثمَّ يَبعَثُ الله مَلَكاً يُؤمَرُ بأربَع كلماتٍ ويقال لهُ: اكتبْ عَمَلهُ ورزقهُ وشقيٌّ أو سعيد... الحديث»[1]، فقد بين النبي ﷺ ابتداء حياة الإنسان من نفخ الروح فيه وهو جنين في بطن أمه، ونهايتها بانتزاع الروح منه عند الموت، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]، وكما قال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ [النازعات: ١ ـ ٢]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وقد بين النبي ﷺ حال ذلك فقال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام، حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، وذلك قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾** [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠][2]، **قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون** ـ يعني بها ـ **على ملأ من**

---

(١) متفق عليه: البخاري (١١٧٤/٣)، ومسلم: (٢٠٣٦/٤)؛ كلاهما عن ابن مسعود، رضي الله عنه.

(٢) إدراج من الشيخ لتأكيد مضمون الحديث بصريح القرآن الكريم.

الملائكة إلاّ قالوا: ما هذا الروح الطيب، فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد في السماء؛ أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرّك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، وذلك قول الله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٣ ـ ٩٤]، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلاّ قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان ابن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله عزَّ وجلَّ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [سورة الحج: ٣١] فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء، أن كذب فأفرشوا له من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي

يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربِّ لا تقم الساعة»[1]. نسأل الله السلامة والعافية.

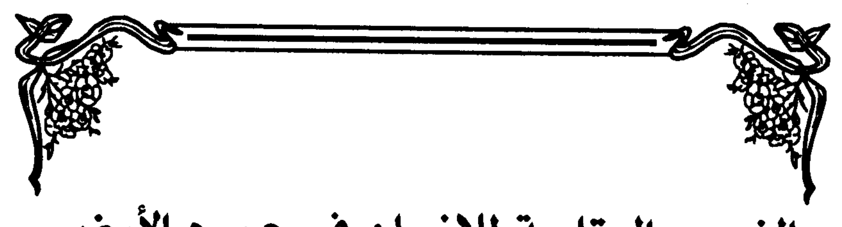
وما بين النفخة والنزعة هو عمر الإنسان الطبيعي، وهذا العمر هو أقصر أعمار الإنسان، وهو عمر التكليف والامتحان، وقد دخلناه الآن وبدأت أقلام الملائكة تعمل، وهي أقلام الامتحان تكتب علينا عملنا، لأننا أتينا إلى الأرض غرباء، لسنا من أهلها في الأصل، وإنما أهبط أبونا آدم وأمنا حواء إلى هذه الأرض لهذه المهمة النبيلة العظيمة، وهي تحقيق عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨]، خلقنا الله لحكمتين؛ إحداهما تختص بنا دون الجن، والأخرى مشتركة بيننا وبين الجن. فالحكمة المشتركة بيننا وبين الجن هي العبادة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾، والحكمة المختصة بالبشر هي الاستخلاف في الأرض، قال الله تعالى لملائكته وآدم منجدل في طينته ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وكان ذلك قبل حياة آدم بأربعين سنة، وهذا الاستخلاف يشمل المؤمنين والكافرين، فالجميع استخلفهم الله على ما جعل تحت أيديهم من المال ومن التصرف في هذه الحياة الدنيا، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/٢٨٧، ٤/٢٩٥) عن البراء بن عازب. وفي الصحيحين أجزاء منه عن أنس بن مالك وغيره.

فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٠٧]، آمنوا بالله ورسوله هذا خطاب للجميع يشمل الكافرين والمؤمنين، فكلهم مطالبون بأن يؤمنوا بالله ورسوله، ثم بعد ذلك أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، هذا دليل على أن كل من ملك شيئاً من أمر الدنيا أو جعل تحت يده أو هيئ له الانتفاع به، فقد استخلفه الله على ما تحت يده، أي أودعه عنده وائتمنه عليه أمانة عرضت ﴿عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، حملها الإنسان بمختلف شرائحه وأجناسه فتحملها المؤمنون والكافرون معاً، ومدة ذلك محصورة يسيرة فالإنسان يظن أنه يملك ما تحت يده، وأنه يتصرف فيه تصرف المالك في ملكه، ولكن الواقع خلاف ذلك، وإنما هو وكيل ينتظر العزل في كل حين، وعزله إما بموته وإما بالحجر عليه، وإما بإزاحة ملكه وإزالته، وإما بزوال عقله وتصرفه، وإما بسجنه والحيلولة بينه وبين التصرف.. كل ذلك ممكن. والله يعزل من شاء عما شاء، ويولي من شاء ما شاء، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦ ـ ٢٧].





الفرص المتاحة للإنسان في عمره الأرضي

هذا العمر القصير للإنسان فيه ثلاث فرص للنجاة من عذاب الله؛ وهي:

الفرصة الأولى: هي هذه الحياة الدنيا، فهذه الحياة الدنيا هي دار العمل، وبعدها الآخرة دار جزاء ولا عمل، فما لم يعمله الإنسان في الدنيا لا يمكنه عمله في الآخرة. الإنسان في هذه الدار لا بد أن يتزود منها لآخرته، وإلا كان من المفلسين يوم القيامة. لأنه لا يمكن أن ينتظر الآخرة بالعمل، إذ ليست دار عمل، فالعمل في هذه الحياة فقط!!.. نحن نذمها ونعلم أنها دنية، لكن مع ذلك لا نجاة في القيامة إلا بها!.. فهي الدنيا؛ إما أن تكون مشتقة من الدناءة، إذ أنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة!!.. أو أن تكون مشتقة من الدنو لقربها، لأنها أقرب إلينا من الدار الآخرة؛ بحسب الترتيب الزمني.

ولكن مع ذلك لا نجاة في الآخرة إلا بالدنيا!!.. إلا بعمل يقوم به الإنسان في الحياة الدنيا، فأهل الجنة يقال لهم يوم القيامة ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤]، وتلك الأيام الخالية إنما هي أيام الدنيا ولياليها، ولا يمكن أن يحسب فيها شيء من القيامة.

وهذه الفرصة لا شك أنها محدودة جداً، فالدنيا لها نهاية حتمية، ونهايتها بإذن الله للمَلَكِ بالنفخ في الصور، وهو الآن قد التقمه وأصغى ليتاً (أي رفع أحد شقي رقبته)، ينتظر الإذن له بالنفخ، فإذا نفخ فيه نفخة الفزع (وهي النفخة الأولى) صعق لها الخلائق جميعا، ويمكثون أربعين سنة ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]. ونحن نقترب من هذه النهاية الحتمية لهذه الدار، فهذه الدنيا هي عبارة عن قرون، وأمم بداية عهدها كانت مع آدم وعصره وقرنه، ثم بعد ذلك جاء نوح ومن معه، وجاءت الرسل تباعا تترى، وختمهم الله بمحمد ﷺ، فأمته آخر أمم الدنيا قطعاً، وقال: «**بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتَين**»[١]، وأشار بالمسبِّحة والوسطى، فالوسطى أطول من المسبحة قليلاً، وهذا الفرق بين بعثته والقيامة إذا ما قورن الأمر من بداية الدنيا. فلذلك لا بد أن نعلم أن عصرنا هذا هو عصر اقتراب من الساعة، وكل يوم جمعة بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ننتظر قيام الساعة، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**خَيْرُ يَوْم طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَفِيهِ تِيبَ عَلَيْهِ، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلاَّ وَهِيَ مُصِيخَةٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مِنْ حِينِ تُصْبِحُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقاً مِنَ السَّاعَةِ، إِلاَّ الْجِنَّ وَالإِنْسَ**»[٢].

---

(١) البخاري برقم (٦٣٥٦) عن سهل رضي الله عنه، ومسلم (برقم: ١٩٥٥) عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

(٢) مالك في الموطإ برقم (٢٣٨).

فجميع الخلائق ما عدا الإنس والجن يرتاعون روعاً شديداً في يوم الجمعة من طلوع فجره إلى طلوع شمسه، فهم منتظرون مصيخون مطرقون من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس؛ ينتظرون الساعة، لأن هذا الوقت هو وقت قيامها، وهي لا تأتي إلا بغتة ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾، ولكنها آتية لا ريب فيها. فإذا عرفنا ذلك فإن فرصتنا هي تدارك أيام الدنيا الباقية للعمل قبل فوت الأوان، كما أرشد النبي ﷺ إلى ذلك، فقد أخرج أصحاب السنن أن النبي ﷺ قال: «**بَادِرُوا بالأَعْمَالِ سَبْعاً، هَلْ تُنْظَرُونَ إلاَّ إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفْنِدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوْ الدَّجَّالِ فَشَرٌّ غَائِبٌ يُنْتَظَرُ أَوْ السَّاعَةِ؟ فالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**»[1].

والفرصة الثانية: هي عمر الإنسان الشخصي، فالإنسان عندما ولد حكم عليه بالموت، فكل مولود ميت، لا يمكن أن يولد مولود إلا وقد قدر له وقت موته، يكتب معه عند نفخ الروح فيه وهو جنين. فوقت موته في الخطة التفصيلية. فأنتم جميعاً تعلمون أن من أركان الإيمان: الإيمان بالقدر؛ خيره وشره، حلوه ومره...

وهذا القدر مراتب؛ المرتبة الأولى: من علم الله بجميع الأشياء إجمالاً وتفصيلاً، وهو علم سابق بجميع الأشياء. والمرتبة الثانية: كتابة كل ما هو كائن في أم الكتاب، وهي الصحف التي هي عند الله فوق عرشه، أمر القلم أن يجري

---

(١) الترمذي برقم (٢٣٤٣)، عن أبي هريرة. وقال: حديث حسن غريب.

بما هو كائن فجرى بما هو كائن، وكل ذلك بالصحف التي عنده فوق عرشه لا محو فيها ولا تبديل ولا تغيير، كما قال الله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [الرعد: ٣٩]، فقوله: ﴿وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ دليل على أنها لا محو فيها، وليس فيها ارتباط بالشروط ولا بانتفاء الموانع، بخلاف اللوح المحفوظ؛ فيكتب الله ما يشاء فيه من أمره، لكن يكون مربوطاً بحصول الشروط وانتفاء الموانع. وكذلك ما يكتب مع الجنين من عمره ورزقه يكون مشروطاً بالشروط وانتفاء الموانع، ولذلك فإن ملك الموت جاء يريد قبض روح موسى عليه السلام يظنه قد حان أجله لأن هذا المكتوب بين يديه، مع أنه مشروط؛ «**فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ فَرَجَعَ إِلَىٰ رَبِّهِ فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَىٰ عَبْدٍ لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ. قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ. فَقُلْ لَهُ: يَضَعُ يَدَهُ عَلَىٰ مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ. قَالَ: أَيْ رَبِّ ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ. قَالَ: فَالآنَ**»[1].

فمات موسى عليه السلام بأجله الذي علمه الله في سابق قدره، وكل إنسان لا يموت إلا بأجله الذي علمه الله بسابق القدر، لكن هذا الأجل المحدد مجهول بالنسبة إلينا: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤]، ونحن نعلم أنه آت لا محالة؛ فمن الناس من يموت بالمرض، ومنهم من يموت بحوادث السير، ومنهم من يموت فجأة على فراشه دون سابق إنذار.

(١) مسلم: برقم (٦١٠١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره

تعددت الأسباب والموت واحد[1]

ونحن كل يوم نودع بعضنا إلى الدار الآخرة ولا رجعة إلا عند الحشر، ونشاهد الموت؛ وفيه من هو أسن، ومن هو أصغر، ومن هو في سننا.. ومن أفرغ منا، ومن هو أقوى، ومن هو أغنى، ومن هو أكثر سلطانا وجاهاً!.. ونراهم جميعاً يتجهون إلى الدار الآخرة فيستوون إذا دفنوا!.. وانقطعت أخبارهم!!. إذا وقفت على مقبرة فيها الملك وفيها المملوك.. وفيها الغني والفقير.. وفيها الجميل والذميم.. وفيها الطويل والقصير.. وفيها الأبيض والأسود.. لا تميز بينهم بشيء!!!...

الذي تراه هو القبور، وما تحتها الله أعلم به، فالقبر إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار!!.. وهم يداركون هنالك.

والقبر الواحد يجتمع فيه من هو في غاية النعيم، ومن هو في غاية العذاب، فتختلط عظامهما وذراتهما ولا هذا يحس بشيء من نعيم هذا، ولا هذا يحس بشيء من عذاب هذا، كل لا يصل إليه إلا ما كتب له!!.. فلذلك كان لابد من استغلال هذا

---

(١) هذا البيت أورده المحبي في خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ونسبه لابن السعدي ومعه:

أرى المرء فيما يبتغيه كأنما ... مداولة الأيام فيه مبارد

ويضطرم الجمعان والنقع ثائر ... فيسلم مقدام ويهلك خامد

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ... تعددت الأسباب والموت واحد

فصبراً على ريب الزمان فإنما ... لكم خلقت أهواله والشدائد

العمر الذي هو فرصة ثانية للنجاة في هذه الدنيا.

والفرصة الثالثة: هي ما مكننا الله فيه من أنواع النعم، فنعم الله سبحانه وتعالى علينا سابغة ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

أنت خُلقتَ بنعمة !.. وآمنت بنعمة !.. وأُعطِيتَ السمع والبصر والجوارح بنعمة !.. وكل لحظة من عمرك هي نعمة تتجدد عليك، وتمتيعك بعقلك نعمة !.. والحيلولة بينك وبين المعصية نعمة !.. وأنواع النعم التي لا تستطيع إحصاءها. فكل شعرة، وكل عضلة، وكل تحرك، وكل سكون من نعم الله عليك التي لا تستطيع إحصاءها بوجه من الوجوه. وإذا كان الحال كذلك؛ فاعلم أن هذه النعم لها آجال محددة تنتهي إليها، كل نعمة لها أجل محدد في علم الله تنتهي إليه، وتمتيعك بها هو مثل مدة حياتك. أحوال الدنيا متقلبة فالغني اليوم فقير غدا، والفقير اليوم غني غدا، والصغير اليوم كبير غدا، والكبير اليوم حَرَضٌ غدا، وهكذا فتقلبات الدنيا سائرة، وهي كما قال الشاعر:

وما الدّهر إلا منجوناً بأهله
وما صاحب الحاجات إلاّ معذبا[1]

تتقلب بأهلها تقلبا عجيبا، وهذه التقلبات كثيرة بين الصحة والسقم والغنى والفقر، والحياة والموت، والصغر والكبر، وغير

(١) أورد البيت عبدالقادر البغدادي في خزانة الأدب: الشاهد رقم (٢٧٣)، ولم ينسبه لقائل ولم يشفعه بغيره.

ذلك كلها مؤذنة بالزوال والانتقال، قال الشاعر الحكيم[1]:

ذهب الزمان فلا زمان جمانا
وكأن ما قد كان لم يك كانا

يا من لشيخ قد تطاول عهده
أفنى ثلاث عمائمٍ ألوانا

والموت يأتي بعد ذلك كله
وكأنما يعني بذاك سوانا

فهذا الموت آت لا محالة، وأنت تنتظره في كل طرفة عين، ولا تدري متى يأتيك، ولا على أية حالة يأتيك، ففرصتك هي هذا العمر الذي أنت فيه، والنعم التي أنعم الله بها عليك،

---

(١) أورده العبد لكاني الزوزني في حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، وهذه روايته:

ذَهَبَ الشَّبابُ فلا شَبابَ جُمانا　　وكأنَّ شَيئاً بَانَ لم يَكُ كَانَا
وطَويتُ كفِّي يا جُمَانَ علَى العَصَا　　وكَفَى جُمَانا بطَيِّها حَدَثانا
يا مَنْ لِشيخٍ قد تَخَدَّدَ لحمُهُ　　أفنَى ثَلاثَ عمائمٍ ألوانَا

ولم يعزها لقائل، ولكنه ذكر أن الزهري كان يتمثل بها. وقد أورد تتمتها ابن عبد ربه في العقد الفريد وروايته:

يا مَن لشيخٍ قد تَخَدَّد لحمُه　　أَفنَى ثلاثَ عمائمٍ أَلوانا
سوداءَ حالكَةً وسَحْقَ مُفوَف　　وأجدَّ لوناً بعد ذاك هِجَانَا
قَصَرَ الليالي خَطْوَه فتَدَاني　　وحَنَينَ قائم صُلبه فتحانَى
والموتُ يأتي بعد ذلك كلُّه　　وكأنما يُعنَى بذاك سِوَانا

وقد عزاها ابن حمدون في التذكرة للنابغة الذبياني في كبره، وروايته:

شيخٌ كبيرٌ قد تَخَدَّدَ لحمُهُ　　أفنَى ثلاثَ عمائمٍ ألوانا
سوداءَ داجيةً وَسَحْقَ مُفَوَّفٍ　　ودروسَ مُخْلَقَةٍ تلوحُ هجانا
ثم المنيةُ بعدَ ذلك كلِّه　　وكأنما يُعنَى بذاك سوانا.

وهذه النعم ماضية. فمدة بقائك وتمتيعك بأي نعمة من النعم هو مثل جلوسك على كرسي الحلاق ليحلق لك رأسك، ثم تقوم لتترك مكانك لغيرك، ولو دامت لغيرك ما وصلت إليك.

هل جلس أحدكم على كرسي حلاق، وهو يريد البقاء عليه أبد الآبدين؟! هكذا الدنيا كلها!! نحن الآن نسكن ديار قوم قد ماتوا وانتقلوا، وسنتركها لمن يأتي بعدنا!! والإنسان في الحياة يجمع من أنواع المال ما أذن له بجمعه، وإذا مات فرقه ورثته ويبدؤون بالجمع من جديد، وهكذا!!.. فكل ما في الدنيا من الأرزاق لم يزد عن الأيام الأربعة الأولى من خلق الكون، خلق الله الكون فخلق في الأرض أرزاقها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين، فكل ما في الدنيا من الأملاك والأرزاق كان في تلك الأيام الأربعة الأولى، ما تجدد شيء بعد ذلك، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت: ١٠]، وبعد ذلك إنما يتساوى الناس في الجمع والتفريق، هذا يجمع ليفرقه غيره، ويبدأ أولئك في الجمع، ثم يفرقه من سواهم.. وهكذا دواليك بالترتيب.

وهذا يدلنا على أن علينا أن لا نحرص كثيراً على جمع أمر سيفرقه غيرنا، فما هو إلا لعبة أطفال يبنونها لكن بِنِيَّةِ النقض والنكث؛ هم يبنونها ويجتهدون في بنائها ويتأنقون فيه، ثم لا يهدأ لهم بال حتى يهدموا ما بنوا!!.. فهذه طبيعة الحياة الدنيا، فلذلك لا بد أن نعرف أن فرصة النعم فرصة لا بد من استغلالها أيضا قبل فوات الآوان. ثم بعد هذا يأتي العمر الثالث.

العمر الثالث: وهو عمر الإنسان تحت الأرض في البرزخ

عندما يدفن الإنسان فقد بدأ حياة جديدة وانتقل من مألوفه جميعا، ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]، ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ [ق: ١٩ - ٢٢]، يبدو له من الله ما لم يكن يحتسب، ويرى الأمور على حقيقتها ويُقْدم إلى ما قدم وتنكشف له الأمور على جليتها.

فإذا كان الحال كذلك فإن ذلك العمر مراتب كثيرة، بدايتها الضجعة الأولى في القبر. عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: كُنَّا معَ رسولِ الله في جَنَازَةٍ فلمَّا انْتَهَيْنَا إلى القَبْرِ. جَثَا على القَبْرِ، فاسْتَدَرْتُ فاسْتَقْبَلْتُهُ فَبَكَى حتَّى بَلَّ الثَّرى، ثم قالَ: «**إخْوَانِي لِمِثْلِ هَذَا اليومِ فأَعِدُّوا**»[1]، وإنها لضجعةٌ عظيمة!!!...

ثم بعدها إذا ووري في التراب جاءت ضمة القبر التي تختلف منها الأضلاع، وتزول منها الحمائل!!.. وهي تهيئة سؤال الملكين، فأنتم تعلمون أن النبي ﷺ أول ما بدئ بالوحي أتاه جبريل فغطه غطاً شديداً حتى بلغ منه الجهد ثلاثاً ثم يرسله فيقول له: اقرأ!! وإنما كان ذلك الغط لتهيئة نفسه وتقويتها لسماع كلام الملائكة وحوارهم، فالإنسان العادي لا يتحمل سماع الملائكة. أنتم الآن تسمعون صوت الرعد من بعيد فيشق عليكم سماعه وترتاعون له، فكيف لو فهمتموه؟! أمر عظيم جداً!!... وكيف لو كان في الأرض؟! لو سمعتم الرعد من الأرض لكان

---

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى برقم (٦٥٤٨).

أمراً مروعاً!!.. فكلام الملائكة لا يَتحمل البشرُ سماعَه !.. فلذلك يُقَوَّوْنَ بهذه الضمة والضغطة الشديدة من أجل سماع الكلام.

الإنسان إذا تألم ألماً شديداً، وأيقن على الهلاك يستطيع حينئذ المخاطرة والمغامرة، فلذلك يضم الميت؛ يَضُمُّه قبرُه ضمةً شديدةً تختلف منها الأضلاع، وتزول منها الحمائل!!.. (وهي ما فضل من الخصرين خارج الظهر).

ثم بعد ذلك يأتي سؤال الملكين؛ منكر ونكير، يجلسانه إلى ركبتيه فيقولان له: ما ربُّك؟ وما دينُك؟ وما كنت تقول في هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: «**ربي الله، وديني الإسلام، والرجل المبعوث فينا محمد ﷺ هو محمد، هو محمد، هو محمد ثلاثاً.. جاءنا بالبينات والهدى، فآمنا واتبعنا، فيقولان له: صدقت وبررت! قد علمنا إن كنت لموقنا، ويقولان له: نم نومة عروس، وأما المنافق أو المرتاب فيقول: هاه هاه لا أدري؟! كنت سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته!! فيقولان له: لا دريت ولا تليت!!... ويضربانه بمطارق بين فَوْدَيْهِ فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الإنس والجن**»[(١)]. وفي رواية: ويضربانه بمرزبّة معهما لو اجتمع عليها أهل منى ما أقلوها!!.. (أهل منى الحجيج بكامله) ما استطاعوا تقليبها فقط!! ما أقلُّوها !.. فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الإنس والجن.

ثم بعد ذلك يأتي عرض العمل «**إن كان محسناً جاءه عمله في أحسن صورة، وأحسن رائحة كأنه إنسان، فيقول: أبشر**

---

(١) تقدم تخريجه.

بخير! فيقول: وجهك الوجه الذي يبشر بخير، فمن أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح، وأنا أنيسك في غربتك. وإن كان مسيئاً (أي غلبت سيئاته على حسناته) جاءه عمله في أقبح صورة، وأنتن رائحة فيقول: أبشر بسوء!! فيقول: وجهك الوجه الذي يبشر بسوء! فمن أنت؟ فيقول: أنا عملك السيء، وأنا صاحبك في غربتك»[1].

فالعمل إذن هو رفيق الإنسان فيحتاج الإنسان إلى انتقاء الرفيق وإعداده قبل الطريق؛ إما أن يأتي في أحسن صورة وفي أحسن رائحة، وإما أن يأتي في أقبح صورة وفي أقبح رائحة. وهو الرفيق الملازم في هذا العمر الطويل. والدليل على طول هذا العمر أن آباءنا وأجدادنا عاشوا فوق هذه الأرض ما كتب لهم بعضهم عاش خمسين سنة، وبعضهم عاش ستين وأطولهم عمراً تقريباً عاشوا مائة أو أكثر قليلاً أو أقل قليلاً، لكن كم مضى عليهم وهم تحت الأرض في البرزخ؟؟! تمضي آلاف السنوات على الموتى وهم هنالك!!

أطول من عرفناه عمراً من أهل الأرض نوح عليه السلام، عاش أربعين سنة قبل البعثة، وألفاً إلا خمسين عاماً في الدعوة، ثم مكث أربعين سنة في السفينة وهي تطوف في الأرض، ثم بعد ذلك مكث مدة بعد هبوطه من السفينة، وهي مدة مباركة قد بارك الله عليه ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ﴾ [هود: ٤٨]، وهذه البركات تقتضي طول العمر بعد ذلك وقيل إن مدة عمره كانت مدة أعمار سبعة نسور بعد هبوطه.

---

(١) تقدم تخريجه.

لكن المهم أن الله أخبر أنه نزل برحمة الله وبركاته وهذه البركات تقتضي المعافاة وطول العمر ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾. نوح كم مضى عليه الآن وهو تحت الأرض في البرزخ؟؟! آلاف السنين!! الله أعلم بها، لكنها قطعاً لا تقارن بمدة حياته فوق الأرض إذا قدرنا أنه عاش ألفي سنة فوق الأرض، فقد مضى عليه تحت الأرض أضعاف أضعاف ذلك.

فإذن هذا العمر البرزخي عمر طويل جداً.

العمر الرابع: وهو عمر الإنسان فوق الساهرة في المحشر ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧]، عمر الوقوف!!.. ليس فيه اضطجاع ولاراحة ولا نوم!!.. كله وقوف ! ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ٦] يوم القيامة!! هذا العمر عمر طويل، بعض الناس هو في حقه كألف سنة مما تعدون ! وبعضهم بحقه كخمسين ألف سنة!! وإنما يتفاوتون بحسب أعمالهم؛ فمن الناس من يستظل في ظل صدقته، فمن مستقل أو مستكثر!! ومنهم من تكون الشمس ضاحية فوق رأسه، يكون ضاحياً للشمس بارزاً لها، ومنهم من يصل العرق إلى كعبيه فقط ! ومنهم من يصل إلى ركبتيه!! ومنهم من يصل إلى حقويه!! ومنهم من يصل إلى سرته!! ومنهم من يصل إلى تندوتيه (أي ثدييه)!! ومنهم من يصل إلى ترقوتيه!!! ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً لطول الموقف ولشدة الأمر!!!...

وهم يبعثون جميعاً كالفراش المبثوث!! وكالجراد المنتشر!!

أجسامهم خفيفة صغيرة، ويأتون من كل حدب وصوب.. ويجتمعون كاجتماع الفراش على الضوء، أو كالجراد المنتشر !.. فيجتمعون في الساهرة.

وهذا العمر ليس فيه عمل وإنما هو وقوف لرب العالمين جميعاً جل جلاله، يقبض الجبار جل جلاله السماوات السبع والأرضين السبع بيمينه فيهزهن، ويقول: أنا الملك ! أين الجبارون؟؟.. أين المتكبرون؟؟..

العمر الخامس: هو عمر البقاء الأبدي السرمدي في جنة أو في نار!!

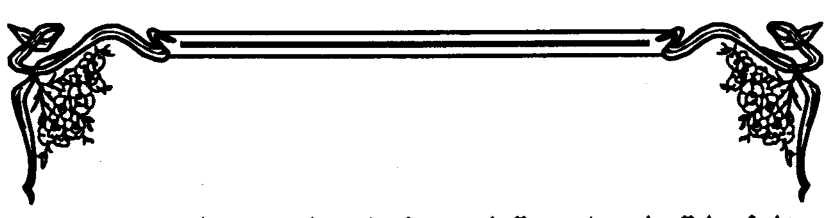
فإن كان في جنة ففيها «**ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[1]، وأعظم ما فيها هي لذة النظر إلى وجه الله الكريم.

وإن كان في النار ففيها ما لا يخطر على بال من المذلة والهوان!!.. وأنواع العذاب المقيم الأليم!!.. وأعظم ما فيها من العذاب أنهم لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم!!!...

نسأل الله السلامة والعافية.

---

(١) البخاري: برقم (٣١٧٤)، عن أبي هريرة.



الخطة الرباعية لاستثمار العمر المركزي (العمر الأرضي)

إذا عرف الإنسان أعماره الخمسة، وأن عمر العمل منها والامتحان هو العمر المركزي، وأنه عمره فوق الأرض، وهو أقصر أعماره؛ احتاج إلى استغلال هذا العمر فيما ينجيه وإلى استثماره فيما يغنيه.

واستثمار هذا العمر هو الرشد، فالرشيد هو الذي استغل العمر، لأن العمر هو رأس المال كما قال النبي ﷺ: «**كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ؛ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»[1] يغدو الناس جميعاً تجارا!!.. يغدون جميعاً؛ فبائع نفسه فمعتقها (أي معتقها من النار) أو موبقها (أي مهلكها). نسأل الله السلامة والعافية. فلذلك يحتاج الإنسان إلى ترشيد هذا العمر واستغلاله استغلالاً حسناً؛ وقد قال أحد الحكماء:

والعمر مدته كمثل دراهم
بيد الفتى يقضي بها حاجاته

(١) مسلم: برقم (٤٨٧)، عن أبي مالك الأشعري.

خُسْـرٌ لـذي عـقـل لـبـيـب مـؤمـن
وقـت يـمـر ولـم يَـزدْ حـسـنـاتـه

واستغلال العمر وترشيده إنما يكون بالتخطيط القويم والتنفيذ لما خطط له، وهذا التخطيط القويم يقوم على أربع مراحل: المرحلة الأولى: هي تعلم ما أمر الله به، والمرحلة الثانية: هي العمل بما تعلمه الإنسان، والمرحلة الثالثة: هي الدعوة إلى ما تعلمه وعمل به، والمرحلة الرابعة: هي الصبر على طريق الحق حتى يلق الله.

المرحلة الأولى: هي تعلم ما أمر الله به، وهي التي جمعتنا في مجالس العلم والدروس، فنحن ولله الحمد في هذه المجالس لم نجتمع لقصد أمر دنيوي، ولا لرياء ولا سمعة.. وإنما اجتمعنا لنتدارس شيئاً من أمر ديننا في مسجد من مساجد ربنا جل جلاله، فإذن بدأنا في المرحلة الأولى التي هي تعلم ما أمر الله بتعلمه. فالله أقام علينا الحجة، وأنار لنا المحجة، فأرسل لنا رسولاً كريماً مبيناً لما أمرنا به، وجاء بكتاب عزيز ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، وأقام به الحجة على الجميع، فقد تحدى الله به الثقلين؛ الإنس والجن، أن يأتوا بسورة من مثله!! وهو حجة باقية لله على عباده، فلذلك لا بد - يا إخواني - وقد قامت علينا هذه الحجة البالغة التي لا يستطيع أحد منا أن يرفضها ولا أن ينكرها، ولا يستطيع أن يقول: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]، لا بد إذن أن نتعلم هذا الذي جاءنا به رسول الله ﷺ في هذا الكتاب، وأن نستغل أعمارنا في

ذلك. فهي مرحلة لا بد منها، وهذا التعلم هو الذي به شرفنا فقد أقام الله تعالى مسابقة بين آدم والملائكة وفاز في هذه المسابقة آدم، وأخذ الجائزة فقال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة: ٣١ ـ ٣٣] فقد فاز أبونا آدم عليه السلام بهذه الجائزة وهو مثل حسن لنا وأسوة صالحة، فعلينا جميعاً أن نتنافس في تعلم ما يرضي ربنا جل جلاله، وقد شرف الله سبحانه وتعالى أهل العلم فقد استشهدهم على أعظم شهادة بعد أن شهد بها وشهد بها ملائكته، فقال تعالى ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] وحكم لصالحهم على من سواهم في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩]، وأخبر أنهم وحدهم المؤهلون لفهم كلامه فقال: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وأخبر أنهم وحدهم الذين يخشون الله حق خشيته، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وأخبر أنه يرفع درجاتهم في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [المجادلة: ١١]. وبين النبي ﷺ فضلهم ومزيتهم، فقد صح عنه ﷺ في صحيح البخاري من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن

النبي ﷺ قال: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»[1]، وفي صحيح البخاري - أيضاً - من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ يُرِدِ اللّهُ به خَيراً يُفقِّهْهُ في الدِّين. وإنَّما أَنا قاسِمٌ، واللّهُ يُعطِي. ولنْ تزالَ هذهِ الأمَّةُ قائِمةً على أَمْرِ اللّهِ لا يَضُرُّهم مَنْ خالَفَهُم حتىٰ يأتِيَ أَمرُ اللّه**»[2]. وصح عنه ﷺ في صحيح البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ ما بَعَثَني اللّهُ بهِ مِنَ الهُدَى والعِلم، كَمثَلِ الغيثِ الكثِيرِ أصابَ أرضاً، فكانَ منها نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الماءَ فأنْبَتَتِ الكَلأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانتْ منها أجادِبُ أَمْسَكَتِ الماءَ فنَفَعَ اللّهُ بها النّاسَ فشَرِبوا وسَقَوا وزَرَعوا، وأَصَابَتْ منها طائفةً أُخرى إنّما هي قِيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنبِتُ كَلأً. فذلكَ مَثَلُ مَنْ فَقِهَ في دِينِ اللّهِ ونَفَعَهُ ما بَعَثَني اللّهُ به فعَلِمَ وعَلَّم، ومَثَلُ مَن لم يَرْفَعْ بذلكَ رأساً ولم يَقْبَلْ هُدَى اللّهِ الذي أُرسِلْت به**»[3].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَىٰ الْجَنَّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ أَبطأَ بِهِ عَمَلُهُ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»[4].

---

(١) البخاري: برقم (٤٩٠٧).

(٢) البخاري: برقم (٧١).

(٣) البخاري: برقم (٧٩).

(٤) مسلم: برقم (٦٨٠٣).

وصح عنه ﷺ كذلك في السنن والمستدرك وصحيح ابن حبان وابن خزيمة أنه قال: «**إِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًى لِطَالِبِ العِلْمِ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أَخَذَ بِحَظٍ وَافِرٍ**»[1].

وكذلك صح عنه ﷺ في السنن وغيرها أنه قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلاَّ ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالاَهُ وَعَالِمٌ أَو مُتَعَلِّمٌ**»[2].

فلذلك كان هذا العلم مزية كبرى وفضلاً عظيماً ولذلك لم يأمر الله رسوله ﷺ بالاستزادة من شيء من الدنيا إلا من العلم فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ولذلك فالاشتغال به ليس خسارة، بل الإنسان إذا طلب العلم وأخلص لله سبحانه تعالى فذلك أفضل حتى من العمل، قال الإمام الشافعي: «**طلب العلم أفضل من قيام الليل ومن صلاة النافلة**»، وقال السيوطي رحمه الله:

والعلم خير من صلاة نافله

فقد غدا الله برزق كافله

---

(١) سنن الترمذي برقم: (٢٧٥٢)، وسنن ابن ماجه برقم: (٢٢٧) واللفظ واحد.

(٢) سنن الترمذي برقم: (٢٣٥٩)، وقال: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه ابن ماجه في سننه برقم (٤٢٠٢) بنصب ما بعد إلا على الأفصح، وأما الرفع ففصيح على لغة تميم.

وقد سئل مالك ـ رحمه الله ـ عن المقَرَّب للقتل الذي لم يبق من عمره إلا ساعة في أية طاعة يصرفها؟ فقال: علم يتعلمه، قيل: يا أبا عبد الله إنه لا يعمل به ! فقال: تعلمه أفضل من العمل به.

فلذلك لا بد أن يجعل كل مؤمن ومؤمنة جزءا من الوقت لتعلم ما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله، لا بد أن نعلم جميعاً أن الإعراض عن ذلك توعد الله عليه في كتابه بالوعيد الشديد فقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: ١٢٤ ـ ١٢٧].

فإذن لا بد في هذه الحياة الدنيا من استغلال المرحلة الأولى من مراحل تخطيطنا لهذا العمر واستغلالنا له؛ أن نتعلم ما أمر الله بتعلمه، وأن نجعل ذلك أولوية من أولوياتنا. وهذا التعلم مستمر طيلة العمر، يحتاج الإنسان إليه أبدا. قيل للشافعي: متى يحسن بالإنسان أن ينقطع عن طلب العلم؟ قال: متى يحسن به أن يجهله!! إذا حسن الجهل حسن بالإنسان ترك الطلب.

فلذلك يحتاج الإنسان أن يحرص على العلم دائما، وأن يَعُدَّ نفسه في عداد الطلبة في كل الأوقات، وفي جميع أحواله. . . لا بد أن يحرص على أن يستفيد كل يوم علما يقربه إلى الله.

كل يوم لا يزداد فيه الإنسان علماً يقربه من الله، فذلك يوم

منزوع البركة ليس فيه خير، فإذن لا بد من الحرص على هذه المرحلة.

المرحلة الثانية: هي العمل بما تعلمه الإنسان، فالعلم سلاح ذو حدين، إذا لم يعمل به الإنسان كان حجة بالغة عليه، ولذلك قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إن أخوف ما أخافه يوم القيامة أن يقال لي أعلمت أم جهلت؟ فأقول: بل علمت. فيقال: فما عملتَ فيما علمتَ؟!» وجاء عنه رضي الله عنه أيضا أنه قال: «أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت علمت لا تبقى أية آمرة أو زاجرة إلا أخذت بفريضتها، والآمرة هل ائتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ وأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع»[١].

الإنسان قد يتعب في قراءة القرآن، وإذا لم يعمل به فالقرآن يلعنه على لسانه **«ويا رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه»**. الإنسان الذي يقرأ القرآن؛ وفيه الأوامر والنواهي.. ثم يخالف ما قرأ هو ملعون على لسانه هو، لأن القرآن يلعنه وهو يقرأه، فلذلك يحتاج الإنسان إلى العمل بما تعلم؛ أن يتذكر قول النبي ﷺ: **«لاَ تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعن عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وعن مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفيمَ أَنْفَقَهُ، وعن جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاَهُ»**[٢].

فلا بد أن نعلم جميعاً أن العلم إنما هو وسيلة ومؤداه

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

(٢) سنن الترمذي: برقم (٢٤٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

ومقصده هو العمل، أي الطاعة والعبادة. فإذا تعلم الإنسان كثيراً من الأحكام ولكن كان يخالفها، تعلم أحكام البيع والشراء، وتعلم ما ينعقد به البيع.. ولكنه أكل الربا، ولم يعمل بما تعلم... تعلم أن الكذب حرام، وأن الغيبة حرام... ولكنه خالف ذلك، فعمل بما علم أنه حرام!! ما فائدة هذا العلم؟!

قال ابن عيينة رحمه الله: إن العلم ينادي بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل. ويقول أحد العلماء:

العلم من دون العبادة هبا

لا يستقر فحريْ أن يذهبا

والعلم في التمثيل مثل الشجرة

أما العبادة فمثل الثمرة

ففضله من جهة وفضلها

من جهتين؛ ثمرة وأصلها

والعبادة هي ثمرة العلم، فالعلم هو الشجرة والعبادة هي الثمرة، ولا خير في شجرة لا ثمرة لها، ولا ثمرة إلا بشجرة. وهذه العبادة لا بد أن نعلم أن الإنسان فيها يحتاج إلى الاقتصاد والتوسط، فلا إفراط ولا تفريط.. فالغلو فيها الذي يقتضي إهدار الإنسان لمصلحة جسمه ومصلحة عقله وما عليه من حقوق هذا سرف، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام: ١٤١]، والنقص فيها والتقصير وهو قادر على الازدياد هو خسران مبين للإنسان، إذا كان قادراً على أن يكون من العابدين فرضي بأدنى الدرجات.

ولا يمكن أن ينال الإنسان حقيقة العبادة إلا بالتدرج، وعدم حرق المراحل، فلا بد أن يحاول الإنسان أن يربي نفسه على الصبر على الطاعة، وعلى التدرج في هذه العبادة، فليأخذ من كل عبادة بنصيب. وليعلم أن أبواب الجنة الثمانية هي كبريات العبادات والطاعات؛ فيها باب الصلاة، وباب الصدقة، وباب اسمه الريان لا يدخل منه إلا الصائمون، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد، وفيها باب الجهاد...

هذه أبواب الجنة على الإنسان أن يحرص على أن يكون له مشاركة في كل باب من أبواب الجنة، وأن يكون له سهم في كل عبادة من العبادات، وفي كل طاعة من الطاعات... يحاول أن يكون من المحافظين على الصلاة، إذا سمع المنادي ينادي: «حي على الصلاة! حي على الفلاح!..»؛ كان من أوائل المجيبين. وكذلك يحافظ على طهارته، والله تعالى يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويحافظ كذلك على قيام الليل ما استطاع في الوقت الذي شغل فيه أقوام عن الله؛ منهم من شغل بالنوم، ومنهم من شغل بالغفلة، ومنهم من شغل بالمرض.. فإذا أذن الله لك بمناجاته في تلك الساعة فهو تقريب عظيم، كما قال الإمام عبد الحق الإشبيلي رحمه الله: «الحمد لله الذي أذن لعباده بطاعته فخروا بين يديه متذللين، ولوجهه معظمين، لم يغلق بينه وبينهم باباً، ولا أسدل دونهم حجاباً، ولا خفض أودية ولا رفع شعاباً»، مزية عظيمة عندما يؤذن لك وأنت تعلم أن من عن يمينك ومن عن شمالك ومن أمامك ومن خلفك نائمين يغطون في نومهم؛ وأنت تركع وتسجد لله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان: ٦٤].

كذلك لا بد أن تأخذ بقسط من الصيام فهو جُنَّة بينك وبين الفتن، ووقاية لجسمك من كثير من الأمراض.. والصوم جُنَّة، وقد قال النبي ﷺ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ؛ الحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِلاَّ الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»(١).

وكذلك لا بد أن تحرص على الذكر، وأن يكون لك ورد منه، فذكر المساء والصباح، والنوم والاستيقاظ، والأكل والشرب، والدخول والخروج.. وأذكار ما بعد الصلاة، إذا حافظت على هذه الأذكار كنت من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات. ولذلك فهذه الأذكار المؤقتة هي موزعة على الزمن توزيعاً معيناً لك على تذكرها، كما قال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان: ٦١ ـ ٦٢]، فتختلف عليك الأوقات تذكرة لك، فإذا فاتك شيء من أذكار النهار تذكرت في الليل، وإذا فاتك شيء من أذكار الليل تذكرت في النهار.. فحاول يا أخي أن تأخذ بقسط من الذكر، وأن تحافظ عليه وأن لا تدعه أبداً، فالنبي ﷺ قال لحفصة: «**نعمَ الرجلُ عبدُ اللهِ لو كانَ يُصلّي منَ الليلِ**»(٢)، فكان بعدُ لا يَنامُ مِنَ الليلِ إلاَّ قَليلاً. وكذلك فإن أبا حنيفة رحمه الله

---

(١) مسلم برقم (٢٦٦٠)، عن أبي هريرة.

(٢) البخاري: ٣٠٩/٣، برقم (١١٠٥)، ومسلم برقم: (٢٣٦٣).

لما مر على صبيان يلعبون قال أحدهم: هذا أبو حنيفة لا ينام من الليل إلا قليلاً، قال أبو حنيفة: «**والله لا يتحدث بها الصبيان وهي كذب**». فما نام بعد من الليل إلا قليلاً. فلذلك لابد أن يكون لك نصيب من هذه الطاعات كلها، ومن هذه العبادات.

ثم احرص أن تكون من المتصدقين الذين ينفقون فيكتمون ما أنفقوا، فأولئك الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ منهم «**رجلُ تَصدَّقَ بصدَقةٍ فأخفاها حتى لا تَعلمَ شِمالهُ ما تُنفِقُ يمينهُ**»[1]، وحاول إحضار النية والإخلاص لتستغل النفقة على أهل بيتك فتجعلها صدقة، كما قال النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «**إنكَ لن تُنفِقَ نفقةً تبتغي بها وَجه الله إلاّ أجِرتَ بها، حتَّى ما تَجعلُ في فيّ**[2] **امرأتِكَ**»[3]، فإذا حضرت النية وخلصت لله سبحانه وتعالى كان كل ما تقدمه حتى لو كان نفقة واجبة لنفسك وعلى عيالك كان صدقة لك عند الله سبحانه وتعالى وأجراً. وهكذا في حرصك على الطاعات كلها والعبادات، وهي أيضاً تحتاج دائماً إلى برنامج مثل البرنامج العلمي الذي سقناه فكما تحتاج لأن يكون لك يومياً جزء من الوقت تصرفه في العلم، فكذلك تحتاج لأن يكون لك تدرب على العبادة، وهذا التدرب بدايته الصحبة الصالحة، أن تبحث عن بعض العابدين فتآخِيَه في الله؛ تجالسه في ليله ونهاره تحرص على أن تؤدي معه الطاعة من قيام الليل وصيام النفل وغير ذلك، لتكون شريكاً له في الأجر ولتتعود على هذه الطاعات، فهي تحتاج إلى

---

(١) البخاري: برقم (١٤٠٣)، عن أبي هريرة.

(٢) في في امرأتك: أي في فمها.

(٣) البخاري: ٥١٣/٣، برقم (١٢٧٢).

تدريب.. وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، وإذا وفقت في الصحبة الصالحة التي تعينك على الطاعة وتدلك على الخير فاشدد عليها يديك ولا تفارقها، واحرص على أن تكون من الذين يزيدونها، ومن الذين يزيدون في الطاعة ولا ينقصون.

واعلم أن الإيمان مراتب متفاوتة، وأن أهله فيه درجات عظيمة؛ ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، فاحرص على أن تكون من الفائزين، ومن الأوائل، ومن محطمي الأرقام القياسية في العبادات والطاعات، واحذر من الغلو! واحذر كذلك من التقصير!.. واقتصد وتوسط بين الأمرين، كما قال النبي ﷺ: **«إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَه، فسَدِّدوا وقارِبوا، وأَبْشِروا، واسْتَعِينوا بالغَدْوَةِ والرَّوْحةِ وشيءٍ منَ الدُّلْجة»**[(١)]. ثم بعد ذلك تأتي المرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: وهي الدعوة إلى ما تعلمته وعملت به، فأنت تعلمت بعض ما جاء به رسول الله ﷺ من عنده، وعملت به فطبقته في خاصة نفسك ولم ينته التكليف عند هذا الحد، بل أنت مطالب بأن تدعو الآخرين إلى ذلك، لأنك إذا كنت في رفاق وهم سالكون لطريق موحش فعطشوا، وأنت تعرف مكان الماء فذهبت أنت إليه، ولم تدل رفاقك عليه، وقد رأيتهم

---

(١) البخاري: ١/١٣٠، برقم (٣٩)، عن أبي هريرة.

يذهبون إلى الاتجاه المعاكس للماء فتركتهم يموتون فأنت مفرط، وغاش لهم.. والنبي ﷺ يقول: «**من غشنا فليس منا**»(١)، فلذلك يلزمك أن تدل الناس على الخير، وأن تسعى لهدايتهم إليه. وهذه الدعوة هي صفة الله جل جلاله، فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]، وهي صفة محمد ﷺ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٦]، وقد أمره الله بها فقال: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: ٨٧] وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقد أمره الله أن يخبر عن نفسه وعن أتباعه بأنها سبيلهم فقال: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، وكذلك أخبر الله أنها أحسن الأقوال وأرضاها عنده، فقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، وقد بين النبي ﷺ فضل هذه الدعوة فقال: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً. وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلاَلَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لاَ يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»(٢). وقال لعلي رضي الله عنه يوم خيبر: «**فوالله لأنْ يَهدِيَ اللهُ بكَ رجلاً خيرٌ لكَ من أن يكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَم**»(٣). فلذلك يحتاج الإنسان إلى أن يكون داعياً إلى الله

---

(١) مسلم: ٢/٩٠، برقم (٢٤٣)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) مسلم: برقم: (٦٧٥٥)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) البخاري: برقم (٢٩٤٢)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

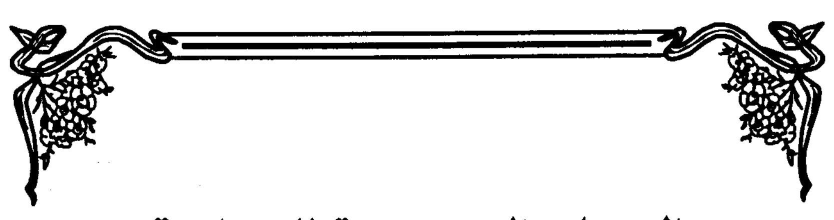
سبحانه وتعالى، وأن يعلم أنه لا يمكن أن يكون من أتباع محمد ﷺ إلا إذا دعا إلى ما يدعو إليه لأن الله يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ ولم يقل أنا وحدي فكل من زعم اتباعه ولم يدع إلى ما دعا إليه فهو كاذب، كذبه الله في كتابه. فنحتاج جميعاً أن نكون من الدعاة إلى سبيل الله سبحانه وتعالى، وأن ننسلك في سلكهم، وأن نسير في طريقهم، وأن نستغل بعض أوقاتنا في ذلك، والوقت الذي تنفقه في الدعوة إلى ما جاء به رسول الله ﷺ ليس ضائعا، بل هو أشرف أوقاتك، لأنه امتداد في عمر رسول الله ﷺ، فالرسول ﷺ هو المبلغ عن الله، وقد جاء بهذه الرسالة فأوصلها إلينا نقية صافية كما أنزلت، فبقيت في أعناقنا أمانة، يجب علينا تبليغها؛ «**ليبلغ الشاهدُ الغائبَ**»[1]، وقال: «**بلغوا عني ولو آية**»[2] فيجب علينا البلاغ عن رسول الله ﷺ، والوقت الذي تبلغ فيه، وتنفقه في التبليغ عن رسول الله ﷺ كأنك تهديه إلى رسول الله ﷺ وتزيد به في عمره، فهو خير أوقاتك وأفضلها وأشرفها. فالوقت الذي يزداد به عمر رسول الله ﷺ قطعاً أشرف من بقية أوقاتك، ومن سائر عمرك.

المرحلة الرابعة: وهي الأخيرة فهي الصبر على طريق الحق حتى تلقى الله، فأنت محتاج إلى الصبر لأنك قد فتحت على نفسك خمس جبهات في هذه الحياة الدنيا، وكلها تشهر عداوتك وتريد مضرتك.

---

(١) البخاري: بالأرقام (٦٧، ٤٢٩٨، ٥٤٢٣)، من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) البخاري: برقم (٣٣٨٦)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.



الجبهات المستدعية للمصابرة

الجبهة الأولى: جبهة الشيطان؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر:٦]، وهذه الآية جمع الله فيها بين الأمر الذي حقه التطبيق، والخبر الذي حقه التصديق. قال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾؛ هذا خبر حقه التصديق، وقوله: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾؛ هذا أمر حقه التطبيق. فالشيطان عدو لنا ولا يمكن أن تحصل منه نصيحة لنا بوجه من الوجوه، وهو يسعى لإضلال الناس، وهذه مهمته. وقد أقسم بعزة الله ليغوين أكثر الناس، قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢ ـ ٨٣]، وقد أخبر الله أن يمينه صدقت في أكثر الناس ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ: ٢٠]، فلذلك تحتاج إلى مجاهدته، فهو جبهة مفتوحة عليك، ومجاهدته إنما تتم بأمور:

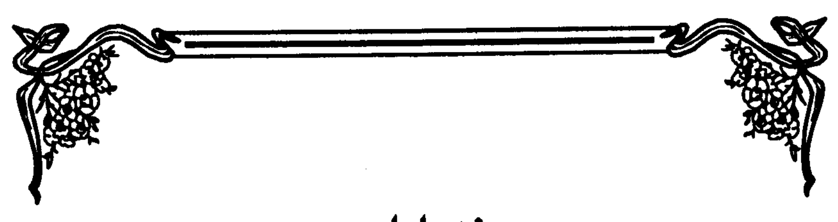
أولاً ـ عدم اتباع خطواته؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النور: ٢١].

ثانياً ـ الحذر من مخاطره؛ فالشيطان له شباك يحاول

إيقاعك في شركه من كل وجه، فيحاول مع الإنسان الوقوع في الشرك، فإذا عجز عن ذلك حاول معه الوقوع في الفواحش والكبائر، فإذا عجز عن ذلك حاول معه ترك بعض الواجبات والفرائض، فإذا عجز عن ذلك حاول شغله ببعض الواجبات عن بعض، فإذا عجز عن ذلك حاول معه الاشتغال بالسنن والمندوبات عن الواجبات، فإذا عجز عن ذلك حاول شغله عن المهم بالأهم من السنن والمندوبات، فإذا عجز عن ذلك حاول أن يتعارض عليه بعض الواجبات، فإذا عجز عن ذلك حاول أن يقع في بعض المكروهات، فإذا عجز عن ذلك حاول أن يتركه في بعض السنن، فإذا عجز عن ذلك حاول إيقاعه في خلاف الأوْلى، فإذا عجز عن ذلك حاول أن يترك المندوب، فإذا عجز عن ذلك حاول أن يعجب بنفسه، فإذا عجز عن ذلك حاول أن يحتقر نفسه وعمله... وكل ذلك مدخل من مداخله، فله مداخل كثيرة يحاول أن يدخل منها على الإنسان.

ثالثاً ـ معاداة جنده؛ للشيطان جندان عظيمان تحتاج إلى مقارعتهما، وعداوتك له تتحقق بمقارعة هذين الجندين، كما تتحقق بعدم اتباع خطواته وبالخوف من غوائله.

رابعاً ـ نقص أعوانه؛ لو اهتدى على يديك طفل واحد، أو إنسان واحد، فقد نقصت حزب إبليس. لأن أهل الدنيا جميعاً حزبان؛ حزب الله، وحزب الشيطان. وأنت إذا حاربت إنساناً فقد لا يكون هو المستهدف لذاته، بل إذا قاتل رئيس رئيساً أو ملك ملكاً فالعبرة بما يقتله ويأسره من جنوده، فكذلك أنت إذا أسرت جنديا من جنود إبليس فهديته نقصت جند إبليس، فحققت له العداوة.



جند إبليس

من أخطر جنود إبليس جنديان؛ أحدهما جند **الشهوات**، والثاني جند **الشبهات**. فجند الشهوات ينقسم إلى قسمين؛ إلى شهوات حسية: كشهوة البطن والفرج، وشهوات معنوية: كحب الرئاسة والظهور والشهرة. وهذه الشهوات لا يمكن أن يقف في وجهها إلا الصبر، فالصبر به تتغلب على الشهوات. فلذلك كان الصبر جندياً من جنود الله في مقابل جندي من جنود إبليس وهو الشهوة. والجند الثاني من جنود إبليس هو الشبهة، وهي كذلك تنقسم إلى قسمين: إلى شبهات في التعامل مع الله، وشبهات في التعامل مع الناس. فالشبهات في التعامل مع الله منها شبهات عقدية: كوساوس الشيطان وما يقع فيه الناس من الضلالات العقدية والشركيات التي هي من عمل إبليس وشبهاته. وكذلك منها ما يتعلق بالعبادات (شبهات في العبادات)؛ كالوساوس في الصلاة، والوسواس في الطهارة، وغير ذلك..

وشبهات التعامل مع الناس تنقسم إلى قسمين؛ إلى شبهات بالإفراط، وشبهات بالتفريط.

بعضها يكون فيه إفراط مثل ما ترونه من تقدير بعض الناس

حتى يصل إلى حد التقديس، ودعوى العصمة والغلو فيهم. والعكس، أيضاً الشبهات في التعامل مع الناس في ازدرائهم واحتقارهم وإهانتهم... فكل ذلك من شبهات الشيطان، والشبهات لا يقف في وجهها إلا جندي هو اليقين. وهو من جنود الله عز وجل.

فإذا جمع الإنسان بين الصبر واليقين نال الإمامة في الدين، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

الجبهة الثانية: هي جبهة النفس الأمارة بالسوء؛ ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٣]، وهذه النفس لا ترضى من الإنسان إلا أن يكون مطففاً، والتطفيف هو أن يأخذ كل حقوقه، وينقص حقوق الآخرين لديه، كما قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ١ ـ ٦]، فالنفس لا ترضى منك إلا أن تكون مطففاً. فتريد منك النفس أن تأخذ حقوق الزوجية كاملة، وأن لا ترضى أن يعتدى على أي حق من حقوقك؛ لا بد من طاعة كاملة، ولا بد من بر كامل، ولا بد من إحسان لكل أمر!.. ولا بد من تنفيذ كل رغباتك وما تريده... لكن في المقابل تريد منك النفس أن تنتقص ما استطعت مما عليك من تلك الحقوق الزوجية!!.. وهكذا في الأولاد!.. وهكذا في الوالدين!.. وهكذا في الجيران!.. وهكذا في كل من تعامله!!.. تسعى بك النفس لأن

تكون مطففاً في كل معاملة. وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما على المنبر يخطب خطبة الجمعة فدخل رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عمر: «أَيَّةُ ساعةٍ هٰذه؟ قال: إِني شُغِلتُ فلم أَنقلِب إِلى أَهلي حتّى سمعتُ التأْذِينَ، فلم أَزِدْ أَن تَوضأْتُ. فقال: والوُضوءُ أيضاً؟ وقد علمتَ أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يأْمُرُ بالْغُسل»[1]، في لفظ آخر: «لقد طففت»؛ أي أخذت كل حقك (لم تغتسل، ولم تأت حتى سمعت النداء الأخير)، فأخذت كل ما لك من الحق، وهذا هو التطفيف. قال مالك: «يقال لكل شيء وفاء وتطفيف»[2]؛ أي كل شيء فيه وفاء، وفيه تطفيف.

فعداوة نفسك لك أنها تريد منك أن تكون مطففاً، ولذلك لا بد أن تعالجها بأن تحاول أداء كل ما عليها من الحقوق، وأن تحاول أيضاً مسامحتها في كل ما لها من الحقوق.. وبأن تحذر من غوائلها، وهي ثلاثة حقوق لنفسك عليك؛ «ترك الانتصاف لها، والإنصاف منها، والخوف من غوائلها»؛ أي لا تنتصف لنفسك أبداً، ما كان رسول الله ﷺ ينتصف لنفسه. وأما الإنصاف منها فحاول أن تنصف منها الغير حتى يأخذ حقه، وأما الخوف من غوائلها فاعلم أنها ميالة بالإنسان إلى الهوى.

الجبهة الثالثة: وهي قرناء السوء؛ فأنت في هذه الدار كما ذكرنا كُتب عليك الاقتران بالناس، والعلاقة بهم، والعالم

---

(١) البخاري: برقم (٨٦٧)، واللفظ له، ومسلم برقم: (١٩٠٥)؛ كلاهما عن ابن عمر.

(٢) الموطأ: ص (٣١).

كله محكوم بدوائر ارتباط ما من أحد إلا وله علاقات واسعة جداً حتى تنتظم أهل الأرض جميعاً، لأنك صديق لهذا وهذا صديق لآخر، وذلك له أصدقاء.. وهكذا تتشعب العلاقات في كل الاتجاهات، حتى تصل إلى أصقاع المعمورة. فإذا كان الحال كذلك فاعلم أن أصدقاءك ومن يصاحبك ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أخ كالغذاء؛ لا تستغني عنه أبداً، وهو الذي يعينك على أمور الدين؛ فيعلمك إذا جهلت ويذكرك إذا نسيت، ويعينك إذا ذكرت (تقتبس منه قبسات الإيمان)، ينصحك.. ويخلص لك.. ويدعو لك بظهر الغيب..

والقسم الثاني: أخ كالدواء؛ تحتاج إليه في بعض الأحيان دون بعض، وهو الذي يعينك على أمور الدنيا؛ إذا احتجت إلى حاجة دنيوية أتيته فساعدك بها. فهذا الأخ هو بمثابة الدواء ينبغي ألا يصرف إلا بوصفة طبية، وأن يتقلل منه.. والإعلان العالمي للأدوية مكتوب على كل دواء: «إن هذا الدواء مستحضر مضر بصحتك فننصحك بالابتعاد عنه»، فلذلك لا بد من التزهد عما في أيدي الناس، والتقلل منهم فتسد منهم الضرورة فقط، وما سوى ذلك من حوائجك فاستره عن الناس، ولا تطلعهم عليه، لأنك إذا أطلعتهم عليه فلهم حالان؛ إما أن يعينوك على حوائجك فقد ملكوك بالمنة، وإما ألا يعينوك فقد اطلعوا على خلتك وعيبك ونقصك... فلذلك لا شيء أولى بك من ستر خلتك وحاجتك عن الناس ورفعها إلى الله جل جلاله، فهو الذي يحب من عباده أن يسألوه، قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ

أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقد قال أحد الحكماء:

لا تسألن بُنَيَّ آدمَ حاجةً
وَسَل الذي أبوابه لا تُحجبُ
فالله يغضبُ إن تركتَ سؤاله
وبُنيَّ آدمَ حين يُسألُ يَغضبُ

ويقول آخر:

ما لي أذل لمخلوق على طمع
هلاّ سألت الذي أعطاه يعطيني
فكسرة من غليظ الخبز تشبعني
وقطرة من نمير الماء تسقيني
وقطعة من غليظ الصوف تسترني
حيّاً وإن مت تكفيني لتكفيني

فلذلك عليك أن تتقلل مما في أيدي الناس، وأن تتزهد عنهم.. وذلك سبب لمحبتك لديهم، وقد قال المكودي رحمه الله:

إذا عرضت لي في زمانيَ حاجة
وقد أشكلت فيها عليَّ المقاصد
وقفت بباب الله وقفة ضارع
وقلت إلهي إنني لك قاصد

ولست تراني واقفاً عند باب من
يقول فتاه سيدي اليوم راقد

والقسم الثالث: أخ كالداء؛ يشقى به الإنسان مدة من الزمن دون فائدة، لا يعينك على أمور دين، ولا يعينك على أمور الدنيا، بل ينقل إليك الفيروسات الضارة، يعديك بأخلاقه السيئة، وبكلامه البذيء، وبتصرفاته غير الموزونة... فهذا لا فائدة لك في صحبته أبداً، وما له علاج إلا القطع والبتر. ولذلك يقول أحد العلماء:

الناس منهم دواء فاتخذه له
إليه تحتاج أحياناً فأحيانا
ومنهم كالغذاء الدهر تطلبه
فلست عنه غنيا أينما كانا
وكم أخ لست محتاجا له أبداً
كالداء يشقى به الإنسان أزماناً

وهذا النوع من الناس هم أعداء الإنسان يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧]، وكما قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ٢٩﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

والجبهة الرابعة: هي مفاتن الدنيا وشهواتها، فهذه الدار هي ضرة الدار الآخرة، وفيها كثير من المفاتن والشهوات، لأنها دار

الغرور؛ يرى فيها الإنسان لمعاناً وبريقاً وزخارف فتستهويه.. إذا مد بصره إلى زخارف الدنيا تعلق بها قلبه، وأصل كل طمع فيها إنما هو من النظر، كما قال ابن القيم رحمه الله:

كل الحوادث مبداها من النظر

ومعظم النار من مستصغر الشرر

كم نظرة بلغت في قلب صاحبها

كمبلغ السهم بين القوس والوتر

والمرء ما دام ذا طرف يقلبه في

أعين العين موقوف على الخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته

لا مرحبا بسرور عاد بالضرر

ولذلك يحتاج الإنسان إلى التقلل منها وعدم الرغبة فيها فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣١)﴾ [طه: ١٣١] وقد قال عمرو بن العاص رضي الله عنه:

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبه

ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمّما

قضى وطراً منه وغادر سِبّةً

إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

فيحتاج الإنسان إلى التقلل منها، والزهادة فيها، ومعرفة حقيقتها.. وإذا أراد الإنسان معرفة حقيقة هذه الدار فلينظر إلى ما

يعجبه فيها وليبحث عن مصيره ومآله.. إذا أعجبك شكل إنسان وجمال صورته فانظر وفكر في مآله ومرجعه فهو إما أن تعاجله المنية فيكون مرتعاً للدود في اللحود، وإما أن يطول عمره في هذه الحياة الدنيا فسيعود أدراجه وينتكس؛ فما كان جميلاً منه عاد قبيحاً وتغيرت أحواله، كما قال الشاعر لما رأته امرأة كانت تعرفه من قبل ببهائه ونضارته ورأته قد تغير حاله، فقال:

فغدوت يغضبني اليسير وملني
أهلي وكنت مكرماً لا أحقر
ولقد رأيت نظير ما عيرتني
يغدو عليك به الزمان وينكر

فيتغير الوضع مع تقدم السن بالإنسان، ولذلك إذا نظرت أيضاً إلى أي محبوب آخر من متاع الدنيا، مما يتنافس فيه الناس من المباني الشاهقة؛ فكر في مآلها ونهايتها.. ستجدها مرمية في القمامات يتأذى بها أهلها، وينفقون المبالغ الطائلة في نقلها ورميها.. وما يتنافسون فيه من السيارات الفارهة؛ انظر إلى مصيرها تجدها - أيضاً - مرمية بالقمامات يتأذى بها أهلها ويبتعدون منها..

وهكذا في كل ما يعجبك من شأن الدنيا؛ انظر إلى مصيره في الحياة الدنيا، فستراه مرمياً في القمامات، فبذلك تدرك أنها ليست ذات قيمة، وأنها لا ينبغي أن يُحرص عليها، وبالأخص إذا تذكرت أنها ضرة الآخرة ومقابلتها، فتحتاج إذن إلى أن تتزهد فيها، وأن تتقلل منها فهي جبهة مفتوحة عليك، وكثيراً ما تغوي وتضل!!.. يراها الإنسان فيظن أنها مستمرة. فما ترون من

الخصام بين الناس والشحناء والبغضاء بسبب عرض من أعراض الدنيا كله يدل على أنهم ظنوا بقاءها!!.. وإلا فلو فكروا أن هذا الذي يتنافسون فيه تافه، وأنهم سيزولون عنه أو يزول عنهم؛ لما استطاعوا أن يتجالدوا بشأنها!.. وقد قال الحكيم:

أقول لمن يناقش وهو مثر
فقيرا عن حقير كالنقير

رويدك لا تناقش عن حقير
حقير من يناقش عن حقير

فلذلك قال النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه كما في صحيح مسلم: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ. وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّىٰ فِيهَا الْقِيرَاطُ. فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَىٰ أَهْلِهَا. فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِماً**». أَوْ قَالَ: «**ذِمَّةً وَصِهْراً. فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَاخْرُجْ مِنْهَا**». قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَالرَّحمَـٰنِ بْنَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ، يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَخَرَجْتُ مِنْهَا[1].

وخرج أبو ذر من مصر فخرج، ولم يعد إلى بيته!.. ولم يأخذ شيئاً من متاعه!.. تنفيذا لأمر رسول الله ﷺ.

والجبهة الخامسة: هي نعم الله عز وجل؛ وهي جبهة عظيمة مفتوحة علينا، وهي النعم السابغة التي لا تحصى.. لكن الناس فيها على أربعة أقسام:

القسم الأول: الذين لا يعرفون النعمة بوجودها، وإنما

---

(١) مسلم برقم: (٦٤٤٦).

يعرفونها بزوالها؛ مادام أحدهم آمنا في سربه، معافى في جسمه، لا يشكو سرطانا في الدم ولا في الكبد، ولا يشكو فشلا في الكلى، ولا ضعفا في عضلة القلب؛ فلا يحس بهذه النعمة ما دام ممتعا بها.. متمتعا ببصره، يبصر مواضع قدميه، ويبصر كيف يلبس ملابسه.. لا يحس بهذه النعمة ما دام يسمع، فإذا زالت هذه النعمة تذكر أنه كان في أمر فارقه، وحينئذ كان حظه الندم حيث لا ينفع الندم. وهؤلاء هم الخاسرون لا يعرفون النعمة بوجودها، وإنما عرفوها بزوالها.

والقسم الثاني: يعرفون النعمة بوجودها لا بزوالها، ولكن لا يعرفون من أين أتت فيظنون أنها جاءت من تلقاء أنفسهم، ومن كدهم وكسبهم واجتهادهم، أو أنها من ميراثهم عن آبائهم وأجدادهم، حالهم حال قارون عندما قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ أَوَلَمۡ يَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] وقد حدثنا رسول الله ﷺ بقصة الثلاثة؛ الأعمى، والأقرع، والأبرص. فاثنان منهم قالا: إنما ورثت هذا المال كابرا عن كابر، وقد كذبا في ما قالا، فهذا نوع من الناس عرفوا النعمة بوجودها، وعرفوا أنهم متميزون، لكن لم ينفعهم ذلك إلا كبرا، ولم يزدهم إلا تجبرا في الأرض، ولم يشكروها لله، لأنهم ما عرفوا أنها من عند الله.

والقسم الثالث: الذين يعرفون النعمة بوجودها، لا بزوالها، ويعرفون أنها من عند الله لا من تلقاء أنفسهم، ولكنهم ينشغلون بالنعمة عن شكرها، مشغولون بالنعمة دائما؛ مشغولون بمتابعة مؤشر الأسهم ارتفاعا وهبوطا.. مشغولون بمتابعة وصول

البضائع.. مشغولون بمتابعة أسعار العقارات والأراضي.. ليلهم موصول بنهارهم في تعب مضن، كل ساعاتهم تفكير في هذا الأمر، يفكرون بالربح في الصلاة.. ويفكرون به في ساعة النوم.. ويفكرون به في ساعة الأكل والشرب.. لا يجدون وقتا صافيا فارغا ليس فيه انشغال. هؤلاء شغلوا بالنعمة عن شكرها، حالهم حال الأعراب، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [الفتح: ١١] وقد حذر الله سبحانه وتعالى من هذا الحال فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ٩ ـ ١١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [التغابن: ١٤ ـ ١٥]؛ فإذن هذه الفتنة في حق هؤلاء.

والقسم الرابع: الذين يعرفون النعمة بوجودها، لا بزوالها ويعرفون أنها من عند الله لا من تلقاء أنفسهم، ولا ينشغلون بالنعمة عن شكرها، بل يصرفونها في ما خلقت من أجله. يصرفونها في عبادة الله وطاعته، كل ما أنعم الله به عليهم من النعم انتظروا الأمر الموجه إليهم فيه. فيتساءل ما هي الأوامر التي جاءت من عند الله تعالى متعلقة بنعمة البصر؟ فيجد قول الله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ﴾

[النور: ٣٠]؛ فيبادر إلى تطبيق هذا الأمر. ونعمة السمع؟ نعمة الجوارح كلها؟ نعمة المال؟ كلما تذكر نعمة من النعم نظر إلى النص الذي جاء من عند الله يتعلق بهذه النعمة فنفذه وطبقه على مراد الله جل جلاله.. وهؤلاء هم الشاكرون، وهم أقل عباد الله كما قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، جعلني الله وإياكم منهم. وقد عرَّف أحد العلماء الشكر بقوله[١]:

والشكر صرف العبد ما أولاه
مولاه من نعماه في رضاه

أن تصرف كل ما أولاك الله من النعم في رضوانه، فهذه الجبهات الخمسة مفتوحة عليك في هذا العمر القصير، وأنت محتاج إلى سدها ومجابهتها جميعا، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بالصبر على طريق الحق. والصبر ثلاث شعب هي: **(أولاً)**: الصبر عن معصية الله، **(ثانياً)**: الصبر على طاعة الله، **(ثالثاً)**: الصبر على قضاء الله وقدره. فتحتاج أولاً إلى الصبر عن معصية الله، أن تصبر جوارحك عن معصية الله فتكفها عما حرم الله عليك، وذلك بأن تعرض التوبة على نفسك، توبة صادقة خالصة نصوحا تمنعك من العود والأوب إلى المعصية، فإذا استجابت نفسك إلى ذلك زدتها ترغيباً وترهيباً؛ زدتها ترغيباً بما أعد الله للتائبين من الأجر العظيم.. وزدتها ترغيباً بما يناله من حفظ هذه الجوارح عن معصية الله، ومن صبر عن معصية الله

---

(١) هو العلامة محمد مولود بن أحمد فال في منظومته السلوكية المسماة «مطهرة القلوب».

وزدتها ترهيباً بما أعد الله من العذاب الأليم لمن عصاه، وبينت لها أضرار المعاصي وآثارها، سواء منها الآثار الدنيوية أو الآثار البرزخية أو الآثار الأخروية، وكلها آثار من آثار الذنوب، وسنعرج على بعضها فيما بعد، وسنذكر منها خمسة أقسام ذات مضرة عظيمة على الإيمان.

ثم بعد ذلك تحاول مع نفسك أن تطبق هذا المنهج في الحياة بصفة دائمة، أن تكون ذات قناعة عن المعصية بالكلية، وذلك بتقوية الوازع الذي يحول بينك وبينها وهو برهان الله في قلبك، وكلما قوي إيمانك قوي الحاجز بينك وبين المعصية.

ثم بعد هذا الصبر على طاعة الله، وهو ثلاثة أقسام؛ الصبر على طاعة الله قبلها، والصبر عليها في أثنائها، والصبر عليها. فالصبر على طاعة الله قبلها بالعزيمة عليها وإعداد العدة لها، العزيمة على الصلاة والتطهر قبلها والاستعداد لها.. هذا من الصبر عليها قبلها.

والصبر عليها في أثنائها بعدم صرف شيء منها لغير الله، تصبر نفسك على أداء هذه العبادة، على الوجه الذي يرضي الله.

والصبر عليها بعدها بعدم إبطالها بالمبطلات البعدية، كإبطال الصدقة بالمن والأذى، وهما من المبطلات اللاحقة التي تكون بعد الطاعة فتبطلها.

فتحاول الصبر بهذه الأقسام الثلاثة على طاعة الله جل جلاله، ثم بعد ذلك الصبر على قضاء الله وقدره، وهو أن تعلم أن الله هو اللطيف، وهو الرؤوف وهو الرحيم.. وهو أرحم الراحمين، جل جلاله .. وأنه لا يكتب على عبده المؤمن إلا ما

هو خير له، كما قال رسول الله ﷺ: «**عَجَباً لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ. إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ. وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلاَّ لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ. وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ**»(1). فأنت تحتاج إلى الصبر على قدر الله خيره وشره.. حلوه ومره..

وبهذا تكون قد أتيت على المراحل الأربعة التي ينبغي أن تستغل فيها عمرك، وهي هذه المرحلة التي هي الصبر على طريق الحق حتى تلقى الله. وهذه المراحل الأربع تضمنتها سورة العصر التي قال فيها الإمام الشافعي: «لو لم ينزل من القرآن على رسول الله ﷺ إلا سورة العصر لكفت حجة على الناس» فقد قال الله تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ وهذ يقتضي تعلم ما أمر الله به ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهذا العمل ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ وهذه الدعوة ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ وهذا الصبر على هذا الطريق.

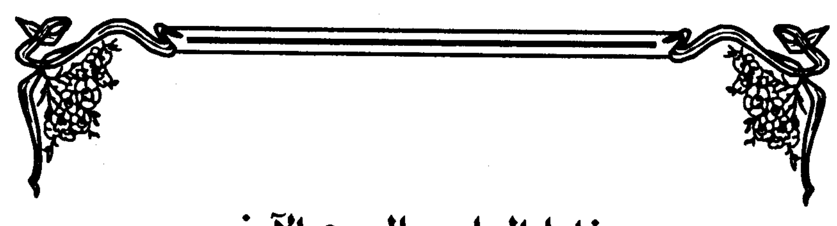
وهي أيضاً وصية لقمان لابنه، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣] هذا تعليم، ثم قال بعد ذلك: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان: ١٦] هذا العمل، ثم قال: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ وهذه الدعوة، ثم قال: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ وهذا الصبر على هذا الطريق.

فإذا جمع الإنسان هذه المراحل الأربعة يكون قد استغل

---

(1) مسلم برقم (٧٤٤٩)، من حديث صهيب رضي الله عنه.

عمره فيما ينجيه في الدار الآخرة، ويكون بذلك مستعداً لها في أي وقت، فإذا أتاه ملك الموت ـ في أية ساعة ـ لم يفجأه، لأنه مستعد له، لا فرق لديه بين أن يأتيه ملك الموت في الليل أو في النهار، أو في أي وقت.. في المسجد، أو في البيت.. لأنه على عبادة في كل ذلك. فالدنيا تكون لديه محراباً كبيراً للتعبد؛ «**إني لأحتسب في نومتي ما أحتسب في قومتي**»، فنومه عباده.. وأكله عبادة.. وصلاته عبادة.. وشربه عبادة.. ونفقة أهله عبادة.. ومحادثة جيرانه عبادة.. ومحادثة أهله في بيته عبادة.. فيكون كل أمره عبادة لله، وتقرباً إليه، وطلباً لمرضاته.. وبهذا يستغل كل أوقاته، وكل ما لديه.. فتكون دنياه كلها محراباً كبيراً للتعبد﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].



مزايا العلم باليوم الآخر

لقد عرفنا أن للإنسان خمسة أعمار، وأن العمر المركزي فيها هو عمره الدنيوي، وهو أقصر أعماره، وأنه لا بد من استغلاله، وأن استغلاله لا يكون إلا بالتخطيط، وأن ذلك يكون في أربع مراحل، وأول مرحلة منها التعلم ولذلك لا بد أن نتعلم ما يتعلق بأمر اليوم الآخر فهو مصير حتمي لكل واحد منا، ونحن صائرون إليه لا محالة، فنحتاج إلى أن نتعلم شيئاً عنه. فالإنسان إذا أراد أن ينتقل إلى بلد من البلدان لا بد أن يأخذ معلومات عن البلد الذي سينتقل إليه؛ عن قوانينه.. وعن منافذه.. وعن عملته.. وعن أنظمته.. إلى غير ذلك.

ونحن جميعاً منتقلون إلى الدار الآخرة، فنحتاج إلى التعرف على هذه الدار، ومعرفتها. ولتعلم ما يتعلق باليوم الآخر فوائد كثيرة، **منها: زيادة الإيمان،** فهذا الإيمان الذي به شرف الإنسان، وهو شرطه لدخول الجنة يزيد وينقص، وقد أثبت الله ذلك في كتابه فقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [التوبة: ١٢٤ ـ ١٢٥]، وقال

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۝١٧﴾ [محمد: ١٦]، وقال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]. فالإيمان إذن يزيد وينقص، وزيادة الإيمان تكون بثلاثة أمور؛

الأمر الأول: زيادة رسوخه وثباته، أن يرسخ الإيمان في قلب الإنسان، ويثبت بحيث تتنزل في قلبه السكينة، فلا يشك ولا يرتاب، فهذه زيادة في الإيمان.

الأمر الثاني: زيادة العمل لدخول الأعمال في مسمى الإيمان وقد ذكرنا أن العلم إنما فائدته العمل، فإذا ازداد الإنسان عملا وتقوى وطاعة لله فقد ازداد إيماناً بذلك.

والأمر الثالث: زيادة أفراد ما يؤمن به الإنسان، فالإنسان كلما ازداد علماً ازدادت أفراد قناعاته ولذلك فقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤]؛ المقصود بها أنه كلما نزلت سورة من القرآن من جديد زاد عدد ما يؤمنون به من السور فيزدادون إيماناً، أي تزداد مفردات إيمانهم.

وهذه الأمور الثلاثة التي تتحقق بها زيادة الإيمان؛ كلها تتحقق بمعرفة شأن اليوم الآخر.

ومنها كذلك؛ أن معرفة اليوم الآخر سبب لمعرفة الله عز وجل، فأول واجب على المكلفين معرفة الله جل جلاله، ومعرفة الله تقتضي محبته وتمام الانقياد لحكمه، وتقتضي طاعته.. وإذا عرف الإنسان اليوم الآخر وعرف ما فيه من العرض على الله سبحانه وتعالى.. ومن الحساب.. ومن دخول الجنة والنار.. عرف عظمة الباري جل جلاله؛ فهو الديان، وهو جبار السموات

والأرض.. فإذا عرف الإنسان عظمته، وجلاله، وكبرياءه، وملكه.. ازداد إيماناً به ومحبة له ومعرفة له.

ومنها كذلك؛ أن معرفة اليوم الآخر سبب زيادة الإيمان برسول الله ﷺ فهو الشافع المشفع في الناس جميعاً، في المحشر يوم القيامة.. وهو الشافع لدخول الجنة، وهو الذي يرِد الناس حوضه المورود فيشرب منه من أراد الله بهم الخير شربة هنيئة لا يظمئون بعدها أبداً.. فقد ادخر الله له المقام المحمود يوم القيامة، ولا شك أن معرفة ذلك تزيدنا محبة لرسول الله ﷺ وإيماناً به وتعلقاً به لزيادة طاعته والأخذ بشرعه.

وكذلك من فوائد معرفة اليوم الآخر تغلب الإنسان على نفسه وانتصاره عليها، فالإنسان محتاج إلى الانتصار على النفس، وهي إحدى الجبهات الخمس كما ذكرنا، ولا يمكن أن ينتصر على غيره ما لم ينتصر على نفسه. ولذلك قال الشيخ حسن الهضيبي رحمة الله عليه: «إن من انهزم أمام نفسه في معركة الصَّلاح، حري أن ينهزم أمام غيره في معركة السلاح». هذه قاعدة عظيمة وضدها صحيح: «فمن انتصر على نفسه في معركة الصَّلاح حري أن ينتصر على غيره في معركة السلاح». فما ترونه من الهزائم يحل بهذه الأمة، سببه هزيمتها أمام نفوسها، لو انتصر الإنسان على نفسه لانتصر على غيرها من أعدائه، وما دام الإنسان مهزوماً أمام نفسه؛ لا يردها عن شهوة، ولا عن معصية، ولا عن مخالفة... فلا يرجى أن ينتصر على غيرها أصلاً، وإنما ينتصر الإنسان على نفسه بمعرفة اليوم الآخر وما اشتمل عليه.

فهذه فائدة عظيمة يحتاج إليها الإنسان ويجنيها من معرفته باليوم الآخر.

كذلك من فوائد معرفتنا باليوم الآخر معرفتنا لدلالات النصوص. فقد جاء في ذكر اليوم الآخر كثير من النصوص من القرآن والسنة، وقد جاء في ذكر البعث بعد الموت سبع مئة وسبع وستون آية في القرآن!! كلها تتعلق بالبعث بعد الموت فقط، وجاء في ذكر اليوم الآخر والجنة والنار أكثر من ألف آية!! فهذه النصوص لا يمكن معرفتها وفهمها إلا بمعرفة اليوم الآخر وتفصيلاته، وما ورد فيه من النصوص..

ومنها كذلك؛ أن معرفة اليوم الآخر وما يتعلق به سبب لمعرفتنا بحكمة البارئ جل جلاله، فهو الحكيم الخبير، وهو غني عن عباده، وغني عن تعذيب الظالمين، ومن تمام لطفه بعباده أن يضاعف الحسنة الواحدة إلى عشر حسنات.. إلى سبع مئة ضعف.. إلى أضعاف كثيرة.. ويعفو عن السيئات، ويتجاوز عنها.. وإذا عاقب بها؛ فإن السيئة لا تكتب إلا سيئة واحدة! وإذا هم الإنسان بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبت حسنة أيضاً! وإذا هم بحسنة فعملها كتبت بعشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة. فيعرف الإنسان بذلك حكمة البارئ جل جلاله.

ومنها كذلك؛ أن معرفة اليوم الآخر سبب لرغبة الإنسان بالجنة، وخوفه من النار. فالإنسان محتاج إلى ما يزيده رغبة فيما عند الله عز وجل، ورهبة مما عنده.. فالذي لا يعرف الجنة لا يرغب فيها، والذي لا يعرف النار لا يرهبها. وقد ثبت عن

النبي ﷺ أنه قَالَ: «**لَمَّا خلَقَ الله الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جَبْرَئِيلَ إِلَى الجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ الله لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيهَا فَانْظُرْ إِلَيهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ. فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ. قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجَعْ إِلَيْهَا فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنَّ لاَ يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا**»[١].

فلذلك يحتاج الإنسان إلى ما يرغبه في الجنة ويحدوه إليها، ويحتاج إلى ما يرهبه من النار ويخوفه منها، وكلما ازداد الإنسان رغبة في الجنة ازداد طاعة لله، واتباعاً لشرعه.. وكلما ازداد خوفاً من النار كذلك ازداد طاعة لله واتباعاً لشرعه..

ومنها كذلك؛ أن معرفة اليوم الآخر وما يتعلق به، علاج للقسوة والغفلة. فنحن من هذه الدار نصاب بكثير من الأمراض، كثير منا يشعر ـ فقط ـ بالأمراض البدنية، وينسى الأمراض القلبية، والنفسية، والإيمانية.. وهي أمراض في بعض الأحيان تكون أخطر وأكبر من أمراض البدن.

ومن هذه الأمراض القسوة، فالقلوب تقسو فيمر عليه القرآن

---

(١) سنن الترمذي: برقم (٢٦١٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

كاملاً، يسمعه من أوله إلى آخره، فلا تقطر له دمعة!.. ولا يرتعش رعشة !.. ولا يرتجف ارتجافة واحدة!.. وما ذلك إلا من قسوة القلب وقد قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨)﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩] وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨٣)﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٣] وهذه القسوة أثرها بارز في عصرنا هذا، وفي أمتنا في هذه العصور، فقلما تجد من هو خاشع إذا سمع القرآن تأثر به، تتأثر الناس بأصوات القرآء فالقارئ الذي يعجبهم حُسن صوته يتأثرون ويتفاعلون مع قراءته، وليس ذلك بالخشوع، لأن الخشوع يتعلق بالمعنى لا باللفظ، ولذلك جاء عن النبي ﷺ: أنه تخوف على أمته ست خصال منها «**نشو يتخذون القرآن مزامير يقدمون الرجل ليس بأفقههم ولا أفضلهم يغنيهم غناء**»(١)؛ يعجبهم صوته فقط، فيقدمونه ليغني لهم. لذلك نحتاج إلى الخشوع ونحتاج إلى رقة القلب، ولا شك أن رقة القلب من حياته. قد أخرج مالك في الموطأ وأحمد في

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير عن عابس الغفاري برقمي: (٥٩ و٦٢)، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحاح.

الزهد عن يحيى بن سعيد الأنصاري أنه بلغه أن عيسى ابن مريم يقول: «**لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله فتقسوَ قلوبكم، فإن القلب القاسي بعيد من الله، ولكن لا تعلمون. ولا تنظروا في ذنوب الناس كأنكم أرباب، وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد. وإنما الناس مبتلى ومعافىً؛ فارحموا أهل البلاء، واحمدوا الله على العافية**»[1].

وكذلك فإن الناس في هذه الدار غافلون عن الدار الآخرة، فكم من إنسان الآن يصبح ويمسي وقد نسج كفنه واستجلب في السوق، وهو موضوع في محل تجاري جاهز وهو لا يستشعر ذلك! وكم من إنسان يمر على البقعة التي سيقبر فيها، ويرى قبره وهو لا يستشعر ذلك!

وكم من فتى يمسي ويصبح لاهياً

وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري[2]

فلذلك نحتاج إلى إزالة هذه الغفلة عن أنفسنا فهي داء عضال، ومرض خطير.. وإنما تزول عنا الغفلة بتذكر الدار الآخرة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة**»[3]، تذكر

---

(١) الموطأ: برقم (١٨٣١).

(٢) ينسب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو من جملة ثلاثة أبيات هي:

تُؤَمِّلُ في الدُّنيا طَويلاً وَلا تَدري ... إذا جَنَّ لَيلٌ هَل تَعيشُ إِلى الفَجرِ

فَكَم مِن صَحيحٍ ماتَ مِن غَيرِ عِلَّةٍ ... وَكَم مِن عَليلٍ عاشَ دَهراً إِلى دَهرِ

وَكَم مِن فَتىً يُمسي وَيُصبِحُ آمِناً ... وَقَد نُسِجَت أَكفانُهُ وَهوَ لا يَدري

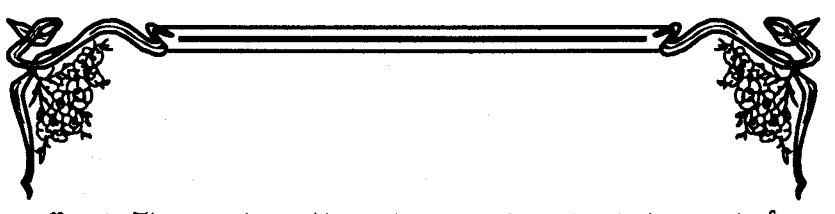
(٣) مسند الإمام أحمد برقم (١٢٥٠).

الآخرة مهم جداً في مكافحة القسوة والغفلة.

ومنها كذلك؛ أن معرفة اليوم الآخر سبب لتوسعة ما نحن فيه من المشكلات، وللتضييق ـ أيضاً ـ على من أحس بالسعة في أمر الدنيا. فالناس في الدنيا بين قبض وبسط؛ فمن هو في قبض يشكو ضيق حاله، وضيق معاشه.. وينظر إلى من فوقه فإذا تذكر الدار الآخرة، وتفاوت أهلها فيها، علم أن تزهده في الدنيا خير له، وأن ما فاته منها لا ينبغي أن يؤسف عليه ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣] وبذلك رغب فيما عند الله، وزهد فيما فاته من أمر الدنيا. وهذا الحال يقتضي منه المسارعة إلى الطاعات، قد قال النبي ﷺ: «**ما لي وللدنيا؟! ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها**»[1]، والراكب إذا استظل تحت شجرة لا يريد البقاء والاستمرار تحتها أبداً، بل يتفيأ مع الظل فإذا زالت الشمس انطلق في سفره.



(١) سنن الترمذي: برقم (٢٤١٧)، وقال: حديث حسن صحيح. وفي سنن ابن ماجه نحوه برقم (٤١٩٩).



أطوار الإنسان في رحلته إلى الدار الآخرة

نحن منطلقون إلى الدار الآخرة، وقد مر خلقنا بتسعة أطوار هي المذكورة في نذارة نوح في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ١٤]، وفي نذارة محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: ١٤]، فهذه الأطباق التسعة قد مر بنا منها إلى الآن سبعة، وبقي اثنان فقط. والإنسان إذا أراد أن يقطع مسافة طولها تسعة كيلومترات؛ وقد قطع منها سبعة، ولم يبق إلا اثنان فقط، فلا شك أن النهاية قريبة. هذه الأطوار التسعة هي المذكورة في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٢] وهذا الطور الأول، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٣] وهذا الثاني، ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾، وهذا الثالث، ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾، وهذا الرابع ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾، وهذا الخامس ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾، وهذا السادس ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وهذا السابع والمقصود به تناميه من الصبا إلى تمام الخلقة.. ثم الرجوع إلى الكبر والشيب.. فيبدأ أولا بضعف ثم بعده القوة ثم بعد ذلك الضعف والشيبة.. ثم قال: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١٥]، وهذا

الطور الثامن، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٦]، وهذا الطور التاسع. فأمامنا طوران فقط؛ الموت، والبعث. لم يبق من مسيرتنا هذه في الأطوار إلا الموت والبعث، فلذلك نحتاج إلى مراجعة ما أمامنا، لأنه توسعة للضيق الذي علينا، وتضييق لمن وسع عليه منا أيضاً، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هاذم اللذَّاتِ، فما ذَكرَهُ عَبْدٌ قطُّ وهو في ضِيقٍ إلا وَسَّعَهُ عليهِ، ولا ذَكَرَهُ وهو في سَعَةٍ إلا ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ**»[1]؛ يعني الموت هاذم اللذات أي قاطعها فجأة، الهذم هو القطع فجأة، إذا كان الإنسان في ضيق من شأن الدنيا فذكر الجنة وما فيها من النعيم المقيم، وذكر النار وما فيها من العذاب الأليم؛ لا شك أن ذلك سيزيل عنه التفكر فيما هو فيه من ضيق حاله. وإذا كان في سعة من الرزق وتوسعة من الدنيا فذكر ضيق جهنم على أهلها وتذكر قول الله تعالى﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١٢ ـ ١٤]، لا شك أن هذا يضيق عليه ما هو فيه من سعة الدنيا.

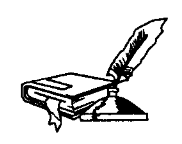
هذه الفوائد كلها نجنيها من معرفتنا باليوم الآخر، هذا اليوم الذي ننتظره أمامنا.. يوم عظيم!

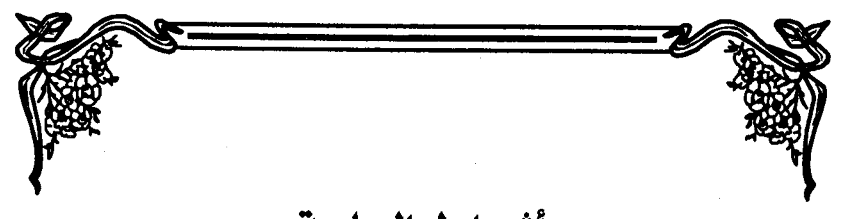
يدل على عظمته أسماؤه فقد سماه الله في القرآن بأسماء مروعة مفظعة، فقد سماه بالقيامة! وسماه بالحاقة! وسماه

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه برقم: (٢٩٦٦) عن أبي هريرة. وأخرج عنه ـ كذلك ـ أوله الإمام أحمد في مسنده برقم (٧٨٨٣)، والإمام الترمذي في السنن برقم (٢٣٤٤)، وقال حديث حسن غريب.

بالقارعة! وسماه بالآزفة! وسماه بالصاخة! وسماه بالطامة الكبرى!.. وبغير ذلك من الأسماء المروعة المفظعة. كلها أسماء عظيمة جداً، وهي تدل على عظم مسماها، هذا الأمر العظيم كثير من الناس غافلون عنه، ولا يفكرون فيه. ولذلك يبغتهم فيأتيهم فجأة فينشغلون عن كل ما كانوا فيه من أمر الدنيا، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١ ـ ٢].



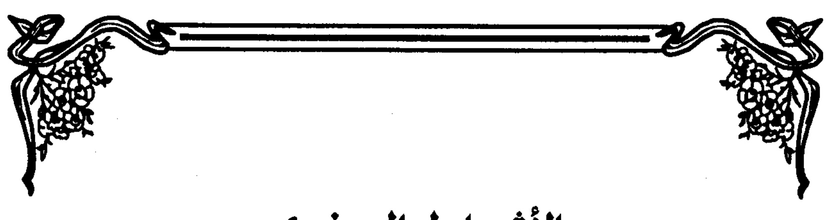


أشراط الساعة

وعظمة هذا اليوم كذلك تؤخذ من علاماته وأشراطه.. فالشيء العظيم يوضع بين يديه علامات تدل عليه، وقد جعل الله بين يدي الساعة أشراطا، وهي جمع شَرَطٍ بالتحريك، وهو العلامة. وهذه الأشراط عظيمة جداً.

فمنها: بعثة محمد ﷺ وهو الفرقان بين الحق والباطل، فإذا كان محمد ﷺ وما جاء به علامة من علامات الساعة فهذا يدل على عظمتها.

وعلاماتها تنقسم إلى قسمين؛ إلى أشراط كبرى، وأشراط صغرى.



الأشراط الصغرى

منها: ما بيَّنَ الرسولُ ﷺ مما يقع في هذه الأمة من الأمور؛ فقد بين أنه سيفيض المال على المسلمين، ويكثر فيما بينهم، وبين أنه سيفشو العقوق في الناس حتى تلد الأمة ربتها، وبيَّن أنه سيتطاول الرعاة في البنيان، «**وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ، الْعَالَةَ، رِعاءَ الشَّاءِ، يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**»[(١)].

ومنها: كثرة النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد، يكون النساء أكثر من الرجال. وهذا يدل أيضاً على البطالة، وعدم القيام بالأمور فيما يتعلق بالرجال، فيكون خمسون امرأة ليس لها إلا القيم الواحد!

ومنها: بعض الفتوحات التي ذكرها كفتح الشام والعراق، من مشارق الأرض ومغاربها، وبلوغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار، فهذه كلها من الأشراط الصغرى.

ومنها: بعض الصفات التي يجدها الناس في أنفسهم، ونحن نجدها اليوم. كارتفاع الأمانة وانتقالها، فتقل الأمانة في

---

(١) مسلم برقم (٥٩) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الناس، وقد ثبت عن حذيفة في الصحيحين أنه قال: «**حدَّثنا رسولُ الله ﷺ حديثين رأيتُ أحدَهما وأنا أنتظرُ الآخر، حدَّثنا أن الأمانةَ نزلت في جذر قلوبِ الرجال، ثمَّ علموا منَ القرآن، ثم علموا من السُّنَّة، وحدَّثنا عن رفعِها قال: يَنامُ الرجلُ النَّومة فتُقبضُ الأمانةُ من قَلبهِ، فيَظلُّ أثرُها مثل أثرِ الوَكت. ثم ينام النومة فتُقبضُ، فيبقى أثرُها مثلَ المجل، كجمْر دَحرجتَهُ على رِجلكَ فنَفِط، فتَراهُ مُنتَبراً وليسَ فيه شيء. فيُصبحُ الناسُ يَتبايعون، فلا يكادُ أحدُهم يُؤدِّي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجُلاً أميناً. ويقال للرَّجل ما أعقلَهُ وما أظرفَهُ وما أجلدَه، وما في قلبهِ مثقالُ حبةِ خَرْدَلٍ مِن إيمان. ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أُبالي أيُّكم بايعتُ، لئنْ كان مسلماً ردَّهُ عليَّ الإِسلام، وإن كان نصرانياً ردَّه عليّ ساعيه، فأما اليوم فما كنتُ أُبايعُ إلا فلاناً وفلاناً**»[1].

في القبيلة بكاملها في بني فلان رجل أمين، مع أن الأمانة أخت الدين والنبي ﷺ يقول: «**لا إيمان لمن لا أمانة له**»[2]، ولكن مع ذلك ستَقِلُّ في آخر الزمان قلة لافتة وهذا ما نشهده اليوم.

ومنها: «**إعجاب كل ذي رأي برأيه**»[3]؛ أن يعجب كل إنسان برأيه فيقع التعصب للرأي، ويقع احتكار الحق، ويكون كل

---

(١) البخاري برقم: (٦٣٥٠)، ومسلم برقم: (٣٢٣) واللفظ للبخاري.

(٢) مسند الإمام أحمد بأرقام: (١٢١٣٠، ١٢٩٠٧، ١٣٣٤٦)، وصحيح ابن خزيمة برقم (٢٣٢٤)، وصحيح ابن حبان برقم (١٩٣)؛ كلهم عن أنس ابن مالك رضي الله عنه.

(٣) سنن الترمذي (٣١٥٧)، وقال: حسن غريب. وسنن أبي داود (٤٣٣٧)، وسنن ابن ماجه (٤١٠١)، وصحيح ابن حبان (٣٨٤).

إنسان يرى أنما هو عليه هو الحق النهائي الذي ليس فيه مفاوضة ولا نقاش، ولا يقبل التراجع عنه بوجه من الوجوه !.. وهذا ما نشهده اليوم فكل صاحب رأي تراه معجباً برأيه، ويجادل عنه حتى لو كان رأياً باطلاً مردوداً بالقرآن والسنة.

ومنها: ما يتعلق بانتشار الفساد كانتشار الفاحشة. ومثل ذلك انتشار إضاعة الموازين والمكاييل ونقصها، وكذلك التفريط في أداء الزكاة، وكذلك نكث العهد (عدم الوفاء به).

ومنها: عدم تحكيم السلاطين لكتاب الله، ليحكموا بالناس بغير كتاب الله، فهذه خمسة أمور، ويترتب عليها خمس عقوبات من الله سبحانه وتعالى، كما أخرج ابن ماجه في السنن وأحمد في المسند والحاكم في المستدرك وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ فقالَ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ إذَا وَقَعَتْ فِيكُمْ خَمْسٌ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ فِيكُمْ، أَوْ تُدْرِكُوهُنَّ: مَا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ يُعْمَلُ بِهَا فِيهِمْ عَلانِيَةً إلاَّ ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلاَفِهِمْ، وَمَا مَنَعَ قَوْمٌ الزَّكَاةَ إلاَّ مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلاَ الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَمَا بَخَسَ قَوْمٌ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ، وَجُوْرِ السُّلْطَانِ وَلاَ حَكَمَ أُمَرَاؤُهُمْ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إلاَّ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ فَاسْتَنْقَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا عَطَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ إلاَّ جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**»[1]،

---

(١) أخرجه الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (١١٨/٣) وقال: هذا لفظ البيهقي عن ابن عمر، قال: وأخرج الحاكم نحوه في المستدرك عن بريدة وقال: صحيح على شرط مسلم.

فأنتم الآن تسمعون بالإيدز وأنواع السرطانات التي لم تكن معروفة في الماضي، وهي منتشرة في زماننا !.. وما سبب انتشارها إلا انتشار الفواحش.. والحروب الأهلية، والمشكلات، والتفجيرات.. سببها تعطيل حكم الله سبحانه وتعالى في أرض الله، فهذه من أشراط الساعة الصغرى.

ومنها: بعض الأمور التي تخرج تباعا في هذه الأمة كنضوب بحيرة طبرية، أو ذهاب مائها، ومثل ذلك فتح روما، وفتح بيت المقدس، وخراب المدينة «**يَتْرُكُونَ المدينةَ على خَيرِ ما كانت، لا يغشاها إلاّ العَوافِ - يُريدُ عَوافيَ السِّباعِ والطَّيرِ - ثم يخرج راعِيانِ مِن مُزَينةَ يُريدانِ المدينةَ يَنعِقانِ بغَنَمهما فيَجِدانها وَحْشاً، حتىٰ إذا بَلَغا ثَنِيَّةَ الوَداعِ خَرّا على وُجوهِهما**»[1].

وفي الموطأ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله قَالَ: «**لَتُتْرَكَنَّ المَدِينَةُ عَلَى أَحْسَنِ مَا كَانَتْ. حَتَّى يَدْخُلَ الكَلْبُ أَوْ الذِّئْبُ فَيُغَذِّي عَلَى بَعْضِ سَوَارِي المَسْجِدِ. أَوْ على المِنْبَرِ**»[2].

وفتح بيت المقدس، وفتح روما.. ويخرج الدجال في الثامنة، بعد ثمان سنوات يخرج المسيح الدجال. وكذلك تبدل الحكم، وذمة المسلمين، فمن ذلك الفتنة التي بدأت بقتل عمر رضي الله عنه من ذلك الوقت والفتنة قائمة فقد كان عمر باباً

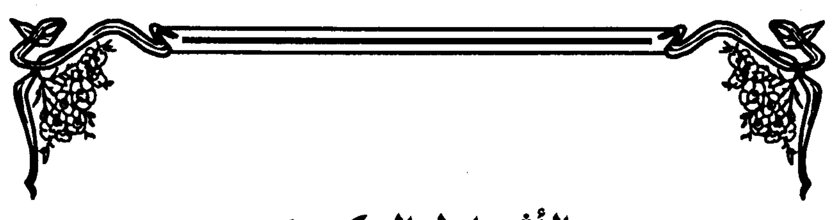
(١) البخاري (١٨٥٣)، ومسلم (٣٣٢١)؛ كلاهما عن أبي هريرة، واللفظ لمسلم.
(٢) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (١٦١٨).

دون الفتنة كما قال له حذيفة: «**يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً. قالَ عُمَرُ: أَيُفْتَحُ أَمْ يُكْسَرُ؟ قالَ بَلْ يُكْسَرُ، قالَ إِذاً لا يُغْلَقُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»[1].

فكل هذه من أشراط الساعة الصغرى.

---

(١) سنن الترمذي (٢٢٩٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.



الأشراط الكبرى

أما أشراطها الكبرى فهي كثيرة كذلك؛ **فمنها**:

خروج الدابة، وهي دابة غير معهودة لا تشبه شيئاً من دواب الدنيا، أوهي ملفقة من عدد من الدواب؛ كل عضو منها يشبه عضواً من دابة، تخرج في رمضان من صدع خلف الصفا وفي رواية من نفق خلف الصفا، تخرج والناس في المسجد الحرام، في أعظم المسجدين حرمة، فتقف على الصفا وتكلم الناس، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]، وفي هذه الآية قراءتان سبعيتان إحداهما ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ أي تقول: لهم هذا القول، فـ«أن» بالفتح؛ للتفسير، معناه تفسير قولها: أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، وحينئذ يكون التكليم معناه الكلام بلسان فصيح يسمعه الناس، ﴿تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾؛ أي تقول لهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. والقراءة الأخرى: ﴿**تكلمهم إِنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون**﴾؛ على الاستئناف، معناه أنها آية يلزم التيقن بها، وهي آتية لا محالة، و تكلمهم حينئذ محمولة على أحد المعنيين إما أن يكون معناه الجرح لأن الكلم هو

الجرح، كلمه معناها جرحه، تجرح في وجه الإنسان جرحاً يعرف به الشقي من السعيد. وهذه الدابة تخرج كما ذكرنا من نفق خلف الصفا، وتغيب في شعب أجياد لا يفوتها هارب ولا يدركها طالب.

ومنها: طلوع الشمس من مغربها، بعد أن تحبس ثلاثاً والناس ينتظرونها، فتطلع من مغربها، وحينئذ يغلق باب التوبة، وهو باب من قبل المغرب، فإذا أغلق لم تقبل توبة من لم يكن محسناً من قبل، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والشمس كل ليلة تخر ساجدة تحت العرش، فتؤمر بالاستمرار فتستمر فتطلع من مشرقها، وفي تلك الليالي الثلاث تحبس لا يؤذن لها بالانصراف، ثم يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها.

ومنها: «خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب»؛ وظاهر الحديث أنها متقارنة أو متقاربة أي في وقت واحد. ثلاثة خسوف كبيرة؛ خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب.

ومنها: الدخان الذي ينتشر فيراه الناس، فيظنون أن السماء مظللة بسبب الدخان الكثيف، المستمر.

ومنها: «نار تخرج من عدن تسوق الناس إلى جهة الشام، تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا»، تسوقهم.

ومنها: رفع القرآن، يسرى عليه في ليلة من الليالي فيمحى من القلوب والمصاحف فلا يبقى له أثر بين الناس، وقد قال الله

تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]؛ والذهاب به محوه من القلوب والمصاحف. وقيل ترفع معه السنة، لأن الناس حين إذن لا يبقى لديهم أي متشبث ولا شيء يمسكون به، ولا يمكن أن يكون ذلك إلا إذا محي القرآن والسنة معاً، ولن يكون ذلك إلا بعد موت العلماء، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ لا يَقبِضُ العِلمَ انتزاعاً يَنتزِعُهُ من العِبادِ، ولكنْ يَقبِضُ العِلمَ بقَبضِ العُلماءِ، حتى إِذا لم يُبقِ عالمٌ اتخذَ الناسُ رُؤوساً جُهّالاً فسُئلوا فأفتَوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا**»[1]، وفي رواية: «**اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُساً جُهَّالاً، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ. فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[2].

فإذا اشتهر الْمُفتون الذين يُفتُون بغير علم فيضلون ويضلون، وقلَّ العلماء فذلك كله تهيئة لرفع القرآن، ورفع العلم، ومن رفعه ألاّ يعمل به، بأن لا يحكم في النهار وألا يقام به في الليل.

ومنها: **خروج المسيح الدجال**، وهو رجل من بني إسرائيل، وهو حي الآن محبوسٌ في جزيرة من جزائر البحر «**وإنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يميناً وعاث شمالاً**»[3]، ومعه كثير من الفتن؛ منها أنه يأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، وأنه «**يَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي**

---

(١) البخاري: (برقم: ١٠٠).

(٢) مسلم برقم: (٦٧٤٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٧٦٤٤).

كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ»[1].

ويمكث في الأرض أربعين يوماً؛ «**يَوْمٌ كَسَنَةٍ. وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ. وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ. وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**»[2]. وهو أعظم فتنة في الأرض، منذ خلق آدم إلى قيام الساعة كما صح عن النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ. وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًا إِلاَّ حَذَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَّالَ. وَأَنَا آخِرُ الأَنْبِيَاءِ. وَأَنْتُمْ آخِرُ الأُمَمِ. وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ، لاَ مَحَالَةَ**»[3]، وفي لفظ: وإن نوحاً حذره قَومه؛ فإذا كان نوح عليه السلام وهو أول الرسل إلى أهل الأرض قد أنذره قومه، فهذا دليل على عظم شأن فتنته.

وقد حذرنا منه رسول الله ﷺ، ولا يخرج الدجال حتى يخرج دجاجلة آخرون؛ فيهم أربعون دجالاً كلهم يزعم أنهم رسول الله، وكلهم يظهر على يديه بعض الخوارق التي تكون فتنة للناس، ولكن أكبر الخوارق هي ما يظهر على يدي المسيح الدجال. قال الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [فاطر: ٥٧]، وأرجح شيء في التفسير أن الناس المقصود بهم هنا المسيح الدجال، وليس له ذكر في القرآن إلا في هذه الآية فقط. وهو يذبح الرجل فيناديه فيقوم فيكلمه!!.. هذه فتنة عظيمة، ويبعث للرجل أبويه الميتين فيكلمانه!!.. ولا يدخل مكة ولا المدينة، «**يجيء الدجال فيصعد أحداً فينظر**

---

(١) مسلم برقم (٧٣٢٢).
(٢) حديث مسلم السابق.
(٣) سنن ابن ماجه برقم (٤١٦٦).

المدينة فيقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب منها ملكاً مصلتاً فيأتي سبخة الحرف فيضرب رواقة ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلاّ خرج إليه، فذلك يوم الخلاص»[1].

ثم: «يَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ، مَسَالِحُ الدَّجَّالِ. فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَىٰ هَـٰذَا الَّذِي خَرَجَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ. فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَداً دُونَهُ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَىٰ الدَّجَّالِ. فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَـٰذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللّهِ. قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ. فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ. فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْباً. قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ. قَالَ فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّىٰ يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ. قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ. فَيَسْتَوِي قَائِماً. قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلاَّ بَصِيرَةً. قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لاَ يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ. قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ. فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَىٰ تَرْقُوَتِهِ نُحَاساً. فَلاَ يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ. فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَىٰ النَّارِ. وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ»[2].

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٨٦٢٠).

(٢) مسلم: برقم (٧٣٢٦).

فتنته عظيمة جداً، وهي بلاء كبير على المسلمين، ويجتمع عليه فلول اليهود فيكون في مسالحه سبعون ألفاً من يهود أصفهان على رؤوسهم الطيالسه، ويرجع إلى الشام.

ومنها: نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، في آخر أيام المسيح الدجال ينزل المسيح ابن مريم عليه السلام، وهو شرط آخر من أشراط الساعة، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١]؛ إنه المسيح ابن مريم عليه السلام لعلم للساعة، وفي قراءة أخرى لَعَلَم للساعة أي علامة من علاماتها.

والمسيح ابن مريم عليه السلام قد رفعه الله إليه، وهو في السماء الثانية هو وابن خالته يحيى عليهما السلام، وقد لقيهما الرسول ﷺ ليلة المعراج وسينزل بعد آذان الصبح «**عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ. بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ. وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ. إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطرَ. وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ. فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ. وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ. فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ**»[1]، معه أسلحة الدمار الشامل وهي تنفسه!.. نفسه يبلغ ما يبلغ بصره! ولا يحل لكافر أن يجد ريح نفسه إلا ذاب كما يذوب الملح في الماء! لا يمتري فيه الناس، ولا يشكون فيه، فيدخل المسجد فيعرفه الناس فيقولون: يا نبي الله تقدم فصل! فيقول: ما أقيمت لي؛ تكرمة لأمة محمد ﷺ فيصلي مأموماً وإمامكم يومئذ منكم، ويدرك المسيح الدجال بباب لدّ، وفي رواية برملة لُدِّ وهذا المكان هو

---

(١) مسلم (٧٣٢٢).

الذي فيه الآن مطار تل أبيب يسمونه الآن «إير بورت» فهذا المكان الذي يقتل فيه المسيح الدجال يقتله المسيح ابن مريم عليه السلام ويقتل الخنزير فينفيه من الأرض، ويكسر الصلبان كلّها، فيعرف النصارى أنه لم يصلب فتكسر الصلبان جميعاً، ويسقط الجزية، فالجزية إنما كانت تضرب على الناس قبل مجيئه هو أما ما بعد مجيئه فلن يقبل الجزية من أحد، وهو حكم عدل يحكم بملة محمد ﷺ ولا ينزل بصفة الرسالة بل ينزل بصفة التجديد والدعوة، فهو مجدد لملة محمد ﷺ وداع إليها كغيره من الأئمة والعلماء من هذه الأمة، أما رسالته فقد توفاه الله فيها أي أنهاها ولذلك قال: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران: ٥٥]؛ متوفيك، أي انتهت مهمتك في الرسالة.

ومنها: بعث يأجوج ومأجوج، «**وَيَبْعَثُ اللّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ. وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ. فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ. فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا. وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَـٰذِهِ، مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللّهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ. حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْراً مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ. فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللّهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ. فَيُرْسِلُ اللّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ. فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللّهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ. فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ. فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللّهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ إِلَىٰ اللّهِ. فَيُرْسِلُ اللّهُ طَيْراً كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ. فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللّهُ. ثُمَّ يُرْسِلُ اللّهُ مَطَراً لاَ يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ. فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ. ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ**

تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ. وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا. وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ. حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ. وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ»[1]، فتكون بركة عظيمة إذ ذاك في الأرض.

ومنها: عودة الخلافة الراشدة، وقبل نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، ستقوم خلافة على منهج النبوة، وهي الطور الخامس من أطوار السياسة في هذه الأمة، كما في حديث حذيفة بن اليمان عند أحمد في المسند وغيره، أن النبي ﷺ قال: **«تكون النبوّة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة، ثم سكت»**[2].

وتلك الخلافة التي تكون على آخر الزمان فيها اثني عشر خليفة كلهم من قريش كما في حديث جابر بن سمرة بن جندب عند البخاري وغيره أن النبي ﷺ قال: **«يكون اثنا عشر أميراً ـ فقال كلمةً لم أسمعها ـ فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش»**[3].

«لا تقوم الساعة حتى يقوم اثنا عشر خليفة»، وقال كلمة

---

(١) مسلم: برقم (٧٣٢٢).

(٢) مسند الإمام أحمد: (١٨٠٦٢).

(٣) البخاري: برقم (٧٠٦٢).

فأسر بها، فسألت أبي وكان بيني وبينه ماذا قال؟ فقال: قال: «**كلهم من قريش**» أي الإثني عشر كلهم. «**وعند موت أحد الخلفاء تقع فتنة تمتلئ فيها الأرض جوراً، وفي هذه الفتنة يدعو الناس المهدي للبيعة**» وهو رجل من أمة محمد ﷺ ومن ذريته يوافق اسمُه اسمَ رسول الله ﷺ واسمُ أبيه اسمَ أبيه، وورد أنه يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخَلْق. ويصلحه الله في ليلةٍ؛ أي كان فاسداً مثل غيره فيصلحه الله في ليلة واحدة، فيُبايَع؛ يطلبه الناس للبيعة في المدينة، فيفر منهم لمكة فيدركونه بين الركن والمقام، ويبايعونه. وفي أيامه ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام.

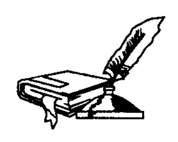
ومنها: **موت المؤمنين جميعاً**، حتى لا يبقى على الأرض من يقول: «**الله**»؛ وذلك «بريح باردة تأتيهم فتأخذهم في آباطهم فيموتون موتة واحدة، وتبقى حثالة كحثالة الشعير، لا يباليهم الله بالاً!.. يتهارجون كما تتهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة[1] لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس[2]، وذلك بعد هجرة المسلمين إلى الشام، فالشام ستكون فيه هجرة بعد هجرة، فالهجرة الأولى إليه هي هجرة اليهود فسيجتمعون إليه لفيفا من أنحاء الأرض، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الإسراء: ١٠٤]، وكما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢]؛ أي لأول حشر اليهود إلى الشام، والهجرة الثانية هجرة المؤمنين.

---

(١) ورد هذا المعنى في الصحيحين وغيرهما راجع حديث مسلم (٧٣٢٢) المتقدم، وكذا حديثه (٤٩١٣) الموالي وغيرهما.

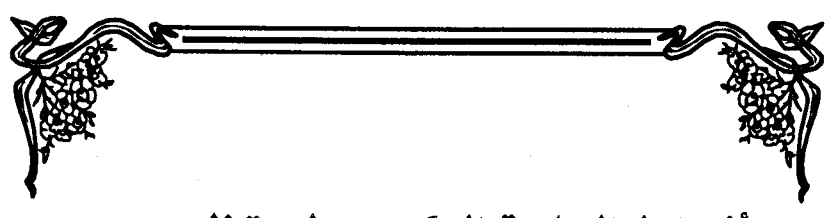
(٢) مسلم برقم (٤٩١٣) عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

فيهاجرون إلى الشام فهو مهاجر أبيهم إبراهيم عليه السلام، وعندما يموت آخرهم بالشام؛ فمن تلك الأرض يحشرون، ولذلك تسمى أرض المحشر، لأنهم يحشرون منها، لأن آخر المؤمنين حياة على الأرض هم الذين يعيشون بالشام». ولذلك أخرج الترمذي في السنن بإسناد حسن أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا فَسدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلاَ خَيْرَ فِيكُمْ**»[1].



---

(١) الترمذي برقم (٢٢٢٢) من حديث قرة المزني، وقال: وفي البابِ عَنْ عَبْدِ الله بنِ حَوَالَةَ وَابنِ عُمَر وَزَيْدِ بنِ ثَابِتٍ وَعَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو. وهذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.



أشراط الساعة الكبرى لم تظهر بعد ولا ينبغي استعجالها

هذه بعض أشراط الساعة الكبرى، وهي أشراط لم تأت بعد، ولا ينبغي تعجلها، ولا لَيُّ أعناق النصوص على بعض الأمور التي حصلت، فذلك مخالف لفهم النصوص والتصديق بها والإيمان بها، بل علينا أن نؤمن أن هذا واقع لا محالة.

وقد شاهدنا كثيراً من الأمور المستغربة في زماننا هذا، فمن كان يتصور سرعة ذهاب الاتحاد السوفيتي وقد بقي أثراً بعد عين، إذا قيل الاتحاد السوفيتي الآن لا يعرفه أحد من الصبيان ومن الأطفال الجدد وقد كان أمس مِلْء السمع والبصر!.

وكذلك ما يتجدد من الأمور الأخرى، فالاتصال الهاتفي الآن والثورة المعلوماتية، والاتصالات، والنقل.. وغيرها أمور عجيبة جداً، لم تكن تخطر على بال أحد.. وقد ورد بعض النصوص بحصولها، منها أنه «**لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله، أو سوطه، أو عصاه، بما أحدث أهله**

بعده»[1]. وفي رواية أخرى عنه: «**وَحَتَّى تُكَلِّمَ الرَّجُلَ عَذبَةُ سَوْطِهِ وَشِراكُ نَعْلِهِ، وَتُخْبِرُهُ بِما أَحْدَثَ أَهْلُهُ مِنْ بَعْدِهِ**»[2]؛ من مقبض سوطه؛ الهاتف الجوال الآن قدره قدر مقبض السوط، فقط قدر ما يقبضه الإنسان، بل يكون أصغر من ذلك، وشراك نعله؛ السماعة التي تستعمل فيها مثل شراك النعل، فهذه الأمور التي جاءت بالعموم يمكن أن نفهمها على بعض الوقائع التي في زماننا، أما الأمور التي جاءت بالخصوص مثل ما ذكرنا في الأشراط فهي لا يمكن حملها إلا على وقوعها ولم تقع بعد، وستأتي. وليس لنا تعجلها، فما يحصل لبعض الناس من البحث عن المهدي ظنا أنه حي، ومحاولة بيعته، ونحو ذلك.. هذه من الأمور التي هي من قبيل الخرافة. فالمهدي إنما يصلح في ليلة واحدة، وإنما يأتي بعد اثني عشر خليفة، وبعد حصول الفتنة، لا يخرج إلا بعد فتنة عند موت خليفة.

وهكذا كل الأمور التي يتشبث بها الناس ويتعلقون بها، في شأن الأشراط كلها، بالاستعجال لأمر سيأتي، ولا داعي لاستعجاله. بل يترك حتى يقع.

أما ما يتعلق برفع القرآن، ورفع العلم عموما فعلينا أن نحاول نشره وتعليمه ما استطعنا لأن الشرع هو الذي يجب الإيمان به ويجب العمل به، أما القدر فيجب الإيمان به ولا يجب العمل به. ولا بد أن نعرف الفرق بين الأمرين؛ فالقدر من

---

(١) مسند الإمام أحمد: برقم (١١٥٨٦) عن أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك: برقم (٨٤٩٢)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

علم الله تعبدنا الله بجهله ولم يكلفنا به، والشرع من علم الله تعبدنا الله بعلمه وكلفنا به. فنحن مكلفون بالشرع؛ أنت مكلف بأن تصلي، لكن لا تدري في القدر هل صلاتك مقبولة، أو غير مقبولة؟! فلذلك تنفذ الشرع وتعمل به، ولو كنت لا تدري نتيجته وخلفياته وما وراءه .. فذلك من القدر المستور، وهو من سر الله جل جلاله.

ومن هنا فيجب علينا الحث على تعليم القرآن وتعلمه، وتعلم العلم النافع والسعي في ذلك والحرص عليه.. وأن نعلمه أبناءنا، وأن نسعى في تحفيظ القرآن على وجه العموم للناس جميعا، ونحن نعلم أنه سيرفع لا محالة، ولا يجب علينا نحن السعي في ذلك، بل يجب علينا السعي في تعليمه كما قال النبي ﷺ «**خيرُكم من تعلم القرآن وعلمهُ**»[1].

وكذلك العلم عموماً؛ يجب علينا الحرص عليه، والسعي لتحصيله، وتعلمه.. ونحن نعلم أنه سيرفع، وأن العلماء سيموتون!!.. وهم طبقة مهددة بالانقراض قبل غيرها من الناس، لكن لا يقتضي ذلك الزهادة في العلم، ولا نقص تعلمه، بل يجب علينا الحرص عليه وأن نتعلمه ما استطعنا.

كذلك لا بد أن ندرك أن أمر الساعة كلمح البصر أو هو أقرب! فهو أمر سريع جداً، فكثير من الناس يستغرب هذه الأمور، ويقول إذن لا تأتي القيامة في هذا الزمان الذي نحن فيه، لأن هذه الأشراط جميعاً قبل حدوثها، ومنها قيام خلافة

---

(١) البخاري: برقم (٤٩٠٧) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

راشدة، ومنها كذا.. وكذا.. من هذه الأمور التي ذكرنا، فيظن أن هذا الأمر لا يأتي إلا في أزمان متطاولة، ولكن الواقع أنه سريع جداً، ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، وقد ورد في الحديث: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ وَتَكُونَ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونَ الْجُمُعَةُ كَاليَوْمِ، وَيَكُونَ اليَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَالضَّرْمَةِ بِالنَّارِ**»[١]، وهذه السرعة العجيبة نشاهدها في أيامنا هذه، فقد نزعت البركة من أكثرها فيتذكر الإنسان حدثاً حصل في العام الماضي، فيظن أنه حصل في الأيام الماضية، أو في الشهر الماضي أو نحو ذلك.. فانتزعت البركة من الأيام، وما كان الإنسان يعمله في الزمن الماضي ـ مع أن وسائل السرعة الآن أكثر ـ لا يستطيع أن يعمله في الوقت الذي كان يعمله فيه!!.. كان أسلافنا يسافرون مسافات.. ويعملون أعمالاً كثيرة.. ويستغلون الأيام.. وإذا أردنا استغلالاً مثل ذلك في زماننا هذا، وجدنا البون شاسعاً بيننا وبينهم.

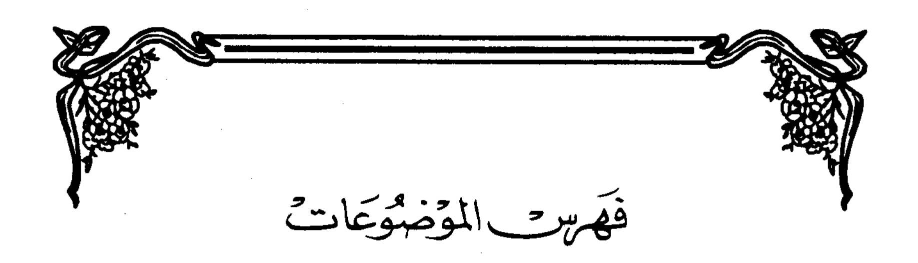
فمثلا نجد الإمام ابن عساكر ـ رحمه الله ـ قد ألف كتابه تاريخ دمشق؛ هذا الكتاب حوالي مئة مجلد من المخطوطة!! وإذا روجع هو وغيره من مؤلفاته.. والكتب التي كتبها بيده، ثم وزعت على وقته؛ نجد أنه كان يكتب في اليوم أكثر من ٤٠٠ صفحة!!... وهذا الذي لا يمكن أن يتصور في حياتنا الآن، حتى ولو بالطباعة والكمبيوتر لا تستطيع أن تطبع ٤٠٠ صفحة في

---

(١) سنن الترمذي: (٢٣٦٩) عن أنس بن مالك، وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه.

اليوم. فالبركة قد انتزعت من أيام الناس، وهذا مشاهد في كل الأمور. لذلك علينا أن نؤمن بهذه الأشراط، وبالساعة وأنها آتية لا ريب فيها، وأن لا نكلف أنفسنا عناء وتكلفاً لأمور لا نفهمها، فلا تطلب الكيفيات في أمور الآخرة، كل أمور الآخرة لا تطلب الكيفيات فيها، فأنت آمنت بالله بذاته وصفاته.. ولم تطلب الكيفيات في ذلك، وآمنت بنفسك التي بين جنبيك ولم تطلب كيفيتها، عقلك لا يبحث في كيفية نفسك ولا في صورتها ولا هيأتها.. وأنت مؤمن بها، موقن بها، وإذا طرق عليك الباب أيقنت أن من وراء هذا الباب إنساناً، لكن لا تعرف أهو ذكر أم أنثى؟ طويل أو قصير؟ أسود أو أبيض؟ لا تعرف شيئاً من صفاته وهو يطرق عليك الباب، وأنت تؤمن أنه موجود.. فهذا يقتضي أن يكون الإيمان هكذا، أن يحصل اليقين، وما لم يرد من الكيفيات والتفاصيل يحال علمه إلى الله جل جلاله، فهو أعلم بكل ذلك.





فهرس الموضوعات

إصدارات معهد مكة المكرمة بجدة

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	كلمات في منهجية طالب العلم	د. عبدالرحمن الجرعي
٢	كلمات ولكن ليست في الهواء	الشيخ إبراهيم الحارثي
٣	ترشيد الاختلاف	الشيخ أحمد البغدادي
٤	من فقه الداعية	د. عبدالرحمن الجرعي
٥	قليلاً من الأدب	د. عادل باناعمة
٦	زاد الرواحل	د. علي بن حمزة العُمري
٧	الفتاوى الطبية المعاصرة	د. عبدالرحمن الجرعي
٨	الإرهاب (التشخيص والحلول)	د. عبدالله بن بيه
٩	أثر المصلحة في الوقف	د. عبدالله بن بيه
١٠	التصنيف في الحديث	د. خلدون الأحدب
١١	كيف تبني ثقافتك	د. علي بن حمزة العُمري
١٢	أثر علم أصول الحديث في تشكيل عقل المسلم	د. خلدون الأحدب
١٣	صلاة التطوع	د. خلدون الأحدب
١٤	حبيب الرحمٰن الأعظمي	سعيد الأعظمي
١٥	الفتح الرباني في شرح نظم ابن أبي زيد القيرواني	د. علي بن حمزة العُمري
١٦	قافلة النور	د. علي بن حمزة العُمري
١٧	الصحة الإيمانية	د. علي بن حمزة العُمري
١٨	أمير الأنام	د. علي بن حمزة العُمري
١٩	الإحساس بالذنب	د. علي بن حمزة العُمري
٢٠	محبة الرسول ﷺ	د. محمد الحسن الددو
٢١	ومن الليل فتهجد	د. يوسف القرضاوي
٢٢	روائع الأسحار	د. إبراهيم الدويش
٢٣	دعوة للفرح	د. عادل باناعمة
٢٤	من ثمار العلماء	الشيخ خالد محمد نور
٢٥	بطاقات تربوية	د. علي بن حمزة العُمري
٢٦	واحة أهل القرآن	خالد محمد نور
٢٧	صور التحايل على الربا في الزمن المعاصر	د. أحمد سعيد حوّا
٢٨	الشرح العصري على مقدمة ابن الجزري	محمد بن محمود حوا
٢٩	العقل أولاً	مختار الغوث
٣٠	في بناء الفكر	مختار الغوث
٣١	المرونة	أنس سليم الأحمدي
٣٢	واحة أهل القرآن (ملحق الرسم)	خالد محمد نور
٣٣	محبة الرسول ﷺ	العلامة محمد الحسن الددو